أ . د .حلمي محمد القاعود

ثقافة
تزغيط البط

١٤٣٠ هـ = ٢٠٠٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

نحمد الله على كل حال ، ونصلي على نبيه الهادي إلى صراط مستقيم وهدي مبين وفكر سليم ، ونسأله سبحانه التوفيق والسداد على طريق الكلمة المتوضئة المضيئة التي تنير للأمة - أو هكذا تأمل - منهج الحق في ثقافتها وتفكيرها وتربيتها ومسيرتها إلى آفاق الحضارة والتقدم والأمل ... وبعد:

فقد كتبت الصفحات التالية انطلاقا من رغبة جارفة في متابعة الواقع الثقافي الراهن الذي يصنع دماغ الأمة ويبرمجها على مسارات معينة تحكم حاضرها ومستقبلها ، وتحكم على ماضيها وتاريخها في آن واحد ، وأحسب أن هذه المتابعة تبدو للقارئ المدقق نوعا من العذاب والمحنة بسبب الخلل والفساد والتزييف في المجالات المختلفة التي تصل من خلالها الثقافة إلى الأجيال الجديدة بالدرجة الأولى .

لقد تكونت في العقود الماضية ، على مدى نصف قرن أو يزيد من الزمان ؛ نخب ثقافية تضع في مقدمة حساباتها مصالحها الذاتية وإرضاء السلطة أيا كانت ، مستبدة أو عادلة ، فتلبس لكل حال رداء يتفق معها ويتناسب مع توجهها ، وللأسف الشديد فإن الأجيال التي عاشت بعد انقلاب ١٩٥٢ العسكري ، لم تنعم بثقافة أصيلة حقيقية تنتسب إلى روح الأمة وأشواقها ، بل عرفت ثقافة زائفة مغشوشة ، يعمل على إنتاجها نخب معادية للإسلام وتصوراته ، وتطرح بدائل غريبة وعقيمة لا تمت بصلة إلى الثقافة الإسلامية الراشدة ، وكان الشيوعيون والعلمانيون والماسون والموالون لثقافة الغرب بصفة عامة في مقدمة المشهد الثقافي طوال خمسة عقود على الأقل ، حيث توفرت مجانا تحت أيديهم وسائط التعبير والإرسال الثقافي بحكم تأميم هذه الوسائط وهيمنة السلطة عليها (الصحف والإذاعات والقنوات التلفزيونية ، ومؤسسات الثقافة والمنابر في المساجد وغيرها) ، بالإضافة إلى ما وفرته لهم الأحزاب (الورقية) والمنتديات الثقافية التي سمحت بها السلطة.. دون أن يكون للثقافة الإسلامية الحقيقية منبر ثقافي واحد يستطيع من خلاله المثقفون الإسلاميون تقديم هذه الثقافة ..

ومن ثم فقد كان تخريب العقل العربي وتلويثه بالفكر الرديء والثقافة المشوهة أمرا طبيعيا ، لدرجة أن راحت النخب المهيمنة على الواقع الثقافي تقدم لنا إنتاجا شائها وتافها تسميه إبداعا وفنا وثقافة ، وما هو من ذلك بشيء ! بل هو إلى التهافت والانحطاط أقرب .. وصار أمرا مألوفا وعاديا أن يسيء بعضهم إلى الذات الآلهية أو الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو الصحابة أو الأمة عموما ؛ ثم يجأر بأن ذلك حرية فكر وإبداع ، بينما لا يستطيع أن يسب بكلمة واحدة مسئولا صغيرا في سلطة الاستبداد !

ولم تسلم اللغة من الانحراف الثقافي ، حيث تدنت ، وهبطت إلى مستويات سوقية لا تليق بعالم الأدب والفن والثقافة والفكر ، ولعل هذا كان حافزا لكاتب هذه السطور أن

ينبه إلى هذا التدني من خلال عنوان الكتاب " ثقافة تزغيط البط " حيث استلهم لغة ما يسمى قصيدة ؛ يقرن كاتبها بين شرطي المرور والذات الإلهية وتزغيط البط على نحو هابط ومسف ، يرى القارئ بعض ملامحه في صفحات هذا الكتاب .
إن النخب الثقافية المسئولة أو منتجة الثقافة في شتى فروعها تؤدى دورا خطيرا في تكريس ثقافة التبعية والهزيمة الروحية والاجتماعية ، وقد حاولت بقدر الإمكان أن أكشف عن ذلك من خلال وقائع وأحداث شهدتها الثقافة المصرية في السنوات القليلة الماضية ، وينسحب ذلك بصورة ما على الثقافة في معظم البلاد العربية حيث وسدت الأمر للنخب المعادية للإسلام تحت دعاوى الحداثة والتنوير والتقدمية وغيرها .

أسأل الله أن يكون في هذه الصفحات بعض النفع ، ولعلها تكون حافزا لغيري كي يواجه الثقافة الزائفة المغشوشة، ويعمل من أجل استعادة الثقافة الإسلامية الحقيقية التي تتبنى قيم الإنسان وتتفاعل تفاعلا ناضجا وواعيا مع الثقافات الإنسانية الأخرى .
والله من وراء القصد .

حلمي محمد القاعود

المجد في جمادي الأولى ١٤٣٠ هـ
يونيه ٢٠٠٩م

***

أمّنا الغولة .. وتزغيط البط !

أمّنا الغولة ، ليست هذه العجوز الشمطاء ، المنكوشة الشعر ، التى تصادم المجتمع بكلامها وأفكارها وسلوكها ، مع قبح الهيئة وبشاعة المنظر !

أمنا الغولة كيان هلامى يتكون من أشتات فكرية وأخلاط ثقافية ، تشيع فى حياتنا الراهنة ، وتملؤها زيفاً وتدليساً وتضليلاً ، وتصنع مفارقات غريبة ، تصبّ فى حالة الفساد التى تضرب بجذورها فى أعماق المجتمع المقهور البائس ، الذى تكالبت عليه الأكلة ، بعد أن تحول إلى قصعة مستباحة ، يردها كل وارد وشارد !

هزيمة الوطن الداخلية فى شتى المجالات بدءاً من السياسة حتى كرة القدم ، مروراً بقضايا التعليم والتصنيع والزراعة والإدارة وغيرها ، أتاحت الفرصة للطابور الخامس ، كى يلعب أدواره غير المقدسة فى استباحة الأمة وثقافتها وفكرها وعقيدتها ، فى سياق ملفوف بالتدليس والتضليل والصلافة وانتفاخ الذات ، وتمثيل دور الشهداء والأبطال !

عندما تسمع عن وصف الصحابى الجليل أبى هريرة – رضى الله عنه – براوى الأكاذيب ، فماذا تقول عن دين الأمة ؟ هل صار الإسلام قائماً على الأكاذيب والخيالات والاختراعات ؟ وكم يبقى منه ؟

عندما تنشر مجلة تصدرها الدولة بأموال المسلمين فى العقيدة أو الثقافة ، نصوصاً تطعن فى دين المسلمين ونبى المسلمين – صلى الله عليه وسلم – لليهودى الصهيونى " مكسيم رودنسون " ، ويُقال لك إن هذه حرية فكر ، بينما لا تستطيع بحكم القانون الدولى أن تناقش عدد ضحايا ما يُسمى المحرقة الصهيونية فى ألمانيا النازية ، فماذا معنى هذا ؟

عندما تسمع عن عرض شعرى موسيقى فى دولة خليجية ، ينال من الإسلام وتشريعاته ، ثم يُقال لك إن " المتطرفين " – الاسم الكودى للمسلمين – احتجوا على هذا العرض الرخيص ، وصادروا حرية الإبداع والتفكير .. فماذا تقول رداً على ذلك ؟

عندما تقرأ فى مجلة ، تصدرها السلطة المصرية كلاماً يسميه صاحبه شعراً ، يصور فيه الخالق عز وجل بعبد المأمور ، هو والأنبياء عليهم السلام ، ويستدعيهم المذكور بأسلوب يخلو من الأدب والذوق ، كما يصف الذات الإلهية بعسكرى المرور الذى ينظم السير فى شارع زكريا أحمد ، أو يشبهها بالقروى الذى يزغط البط فى الريف .. ماذا يكون رد فعلك ؟ وماذا تقول لمن يدافعون عن ذلك " الانحطاط " و " الإسفاف " ، ويتهمون الآخرين فى وقاحة ملحوظة بأنهم لا يفهمون قراءة الشعر ، ولا يعرفون اللغة المجازية التى يعتمد عليها الشعراء ؟

ثم ماذا يكون شعورك عندما تقرأ فى جريدة حكومية أسبوعية ينفق عليها فقراء هذا الوطن لمن سمّى نفسه ناقداً سينمائياً عربيا ، ويتحدث عن رحلاته إلى مصر وعمّان وبغداد ، فيُيشير دون حياء إلى ممارسة اللذة مع المثقفات اللاتى يحضرن المؤتمرات ، ولا يعنيه أمر " الأهرامات " المصرية ولا آثار المصريين ، ولكن

الذى يغنيه " كاس التكيلا " فى أحد بارات دمشق والقاهرة ، خاصة بار " الباذنجانة " ، ثم ممارسة الحب مع فتاة سمراء نحيلة تشبه الإغريقيات ، وتعجبه ممثلة لبنانية سمراء تشبه الشيكولا ويضعها تحت مجهره ولكنه يكتشف أنها صديقة مخرج العرض ، فيضطر إلى استعادة موقعه لدى صحافية بدينة كانت ترافقه ، ثم يفكر بكتابة رواية عن الحب فى فنادق المهرجانات ، والوسائل التى يستخدمها المثقفون العرب للإطاحة بالنساء ، ويخبرنا أن كاتبة عربية تعرضت لمحاولات إغواء كثيرة فى المهرجانات ، وكان أغرب عرض تلقته من مثقف كبير هو عبارة مبتكرة على هيئة سؤال يعبر عن رغبة يقول فيه : ما رأيك بقيلولة؟

ماذا تقول لهؤلاء الذين يحرصون على الإساءة إلى أم المؤمنين عائشة والصحابة رضوان الله عليهم من حين لآخر ، ويعدّون ذلك حرية تفكير ، وحرية تعبير ، وحرية إبداع ؟

ماذا يعنى أن تجد فريقاً من الطابور الخامس متخصصاً فى تشويه الإسلام والمسلمين والإفتاء بغير علم ، وبعضهم لم يقرأ القرآن الكريم ، ولا يحسن قراءة حديث شريف ، ولم يطلع على كتاب فقه أو تفسير ؟

هل لذلك علاقة برغبات الدولة الصليبية الاستعمارية الأم فى واشنطن ، بما يُسمى تغيير الخطاب الدينى ، وتعديل المناهج التعليمية ، وعدّ التمسك بالإسلام تطرفاً وتشدّداً وظلامية ؟

لاشك أن " الطابور الخامس " = الذى يضم مثقفى الحظيرة والماسون وكتاب لاظوغلى واليسار المتأمرك والمرتزقة الذين يبحثون عن الرزق الحرام = يقوم بدور مهم مستغّلا الهزيمة الوطنية الداخلية ، وقهر السلطة البوليسية الفاشية للشعب ؛ فى استباحة الإسلام والإغارة عليه ، ومحاولة تغييبه أو استئصاله ، وهو أمر يلقى قبولاً لدى خصوم الإسلام وأعدائه على السواء .

والعدوان على الإسلام من جانب الطابور الخامس أو " أمنا الغولة " – إذا شئنا تعبيراً أدق – يتم تحت مظلة من التدليس والتضليل يتقن صنعها الواقفون فى هذا الطابور . فهم لا يكفون عن الزعيق والصياح بحرية التفكير والتعبير والإبداع ، وهم أول من يصادر هذه الحرية إذا حاول غيرهم أن يمارسها .. لقد هيمنوا على وسائل الإعلام والصحافة ووسائط التعبير الأخرى ، وحرموا على غير أتباعهم والمنتمين إليهم مجرد الاقتراب من هذه الوسائط وتلك الوسائل ، بل وصلت الخسة ببعضهم إلى حدّ حذف الأسماء التى لا تعجبهم من الأخبار الأدبية والثقافية والاجتماعية ، حتى لو جاء ذلك على حساب الأداء المهنى !

وقد راودنى سؤال بسيط للغاية ، ملخصه : هل يستطيع أى دعىّ من هؤلاء الذين يزعمون أنهم مبدعون أن يصف رئيس الجمهورية مثلاً بأنه شرطى ينظم المرور ، أو قروى يزغط البط فى الريف ، أو عبدالمأمور ، أو شخص ... ؟

بلاش رئيس الجمهورية ، هل يمكن وصف وزير الثقافة بالأوصاف السابقة التى وصفت بها الذات الإلهية أو الأنبياء أو الصحابة ؟

بلاش وزير الثقافة ، هل يمكن وصف ماركس أو لينين أو خالد محى الدين أو اللواء مدير هيئة النشر الرسمية أو رئيس تحرير جريدة " طشة الملوخية " بهذه الأوصاف ؟

لقد تطاول " الطابور الخامس " مذ أتاحت لهم السلطة البوليسية الفاشية فرصة الهيمنة على الحياة الفكرية والأدبية ، واستخدمتهم لمحاربة الإسلام تحت راية محاربة الإرهاب ، فتمادوا إلى الدرجة التى طالبوا فيها بتجريد الدولة من إسلامها ، وحذف المادة الثانية من دستورها ، وصفقوا لبوليسية الدولة ، وقمعها المتزايد يوماً بعد يوم ، وكانوا فى كل الأحوال أدوات قمع وقهر فى يد السلطة الفاشية!

ومن المفارقات أن بعض الجهات والمنظمات التى تدعى الدفاع عن حقوق الإنسان ، تملأ الدنيا ضجيجاً ودفاعاً عن الطابور الخامس ، ولا تهتم ، بل تتجاهل القبض على الأبرياء وتحويلهم إلى محاكم عسكرية ، وتعتّم على الممارسات الفاشية ومصادرة الأموال واعتقال الأفراد فى جوف الليل ، لأنهم لا ينتمون إلى مكونات الطابور الخامس : أعنى مثقفى السلطة والماسون واليسار المتأمرك وكتاب لاظوغلى والمرتزقة الذين يأكلون حراماً !

من المؤكد أن مصر المسلمة بالعقيدة أو الثقافة ستهزم الطابور الخامس فى يوم ما ، وإذا كان عمال مطبعة بسطاء يكتشفون إجرام بعض الأدعياء فى حق الذات الإلهية والأنبياء ، فهو دليل على أن مصر المسلمة ما زالت حية ولن تبيع إسلامها ، وعقيدتها .. لأنها عقل الإسلام ومستقبله العظيم المنتظر ؛ إن شاء الله ، ولن تُخيفها أمنا الغولة مهما تورّمت وتجبرت وتوحشت وتشعّبت !

***

التفسير الماسوني لتزغيط البط !

فـى أواخـر ثمانينيـات القـرن العشـرين كتبـت " الـورد والهـالوك : شـعراء السبعينيات فى مصر " ، وأصدرت منـه طبعتين ، ورصدت فيـه ملامح شـعراء الأصالة ، وشعراء الادعاء . يومها كان هناك من يتهمنى بالمغالاة فى الحكم على شعراء الادعاء أو الهالوك . ولكن الأيام أثبتت صحة ما ذهبت إليه وما أيدني فيه يومها ، الناقد الراحل عبد القادر القط – رحمه الله - ، حيث لم يتبق من كتابات هؤلاء شىء يُذكر فى أذهان الناس أو أفئدتهم . لسبب بسيط : أنهم دخلاء على الفن ، فلا موهبة ولا خبرة ولا مضمون ، كانت إمكاناتهم التى سوّغت لهم البقاء على سطح الحياة الثقافية والأدبية هى انتماؤهم للفكر الماركسى الذى تـأمرك ، وصار خادماً مأجوراً فى الحرب على الإسلام وعميلاً للنظام البوليسى الفاشى ، ومسـوغاً لسـلوكياته ، الاسـتبدادية ، ومصـادراً للفكـر الإسـلامى وعـاملاً علـى استئصاله من الصحافة ووسائط التعبير أو تشويهه والتنديد به عن طريق التدليس والتضليل والأكاذيب المفضوحة .

كانت صداماتهم مع الإسلام ومشاعر المسلمين بشعة ومتوحشة ، أثارت رجل الشارع فى مصر والأمة الإسلامية ، وأساءت لمستخدميهم قبل أن تُسىء إليهم ، وكشفت عوراتهم الفكرية والثقافية ، وجعلتهم أمثولة للخيانة الفكرية والعمالة السياسية ، ولم تغن عنهم مكاسبهم التى أغدقتها عليهم السلطة البوليسية الفاشية شيئاً !

كما كانت مشكلة الكلام عن " تزغيط البط " وتشبيه الذات الإلهية بالقروى أو عسكرى المرور ، دليلاً جديداً يُضاف إلى ما سبق من أدلة على الخواء والسطحية والابتذال التى تصم كتاباتهم الرديئة التى لا تخضع لمعايير فنية أو فكرية ..

ومن المؤسف أن القوم لم يحترموا عقول النـاس ، ولـم يتوقفوا عن الهرطقات الرخيصة ، والتفسيرات الساذجة لجريمتهم فى حق الذات الإلهية ، وحق الأمة ، ولكنهم راحوا يقنعوننا بمنطق يخلو من المنطق ، وأسلوب ينم عن الفكر الماسونى الخبيث – وبعضهم ينتسب إليه بالفعل – أن ما جرى هو انحياز للجمال وللفن وللحرية .. ويستشهدون بنماذج من التاريخ الأدبى لا صلة بينها وبين جريمتهم واستهتارهم بالذات الإلهية ومشاعر الأمة الإسلامية ، وسفح أموالها دون طائل (قال اللواء مدير هيئة النشر الرسمية إن عدد المجلة التى نشرت الجريمة بلغت تكاليفه قرابة ستين ألف جنيه مصرى دفعها الفقراء والكادحون) .

كيف يمكن أن نقارن بين ما يقوله هالوكى أو متمركس متأمرك ، مع ما يقوله أبو نواس أو ابو العلاء المعرى ؟

أين الجمال أو الفن فى كلام الهالوكى ، لنقارنه بالجمال الفنى فى أدب أبى نواس وأبى العلاء المعرى وحسان وعمر بن أبى ربيعة .؟

إن التفسير الماسونى لتزغيط البط ، يدعى أن الجمال هو القيمة التى يجب على المجلة الأدبية أن توفرها لنا ، وأن الحقيقة المؤكدة هى التى تقدمها لنا المجلة

العلميـة ، كمـا يـدعى أن جمـاهير الأمـة بعلمائهـا وأدبائهـا الحقيقيـين ونقادهـا المتخصصين يعيشون طفولة دائمة يفرضها الطغاة !

وهذا السخف الماسونى يتجاهل أن الأدب على مرّ التاريخ ، يقوم على تقاليد وخصائص وقيم ، تتطور بتطور الزمان والمكان ، ولكنها تبقى معياراً للإنتاج الأدبى ، الذى لا يجوز أن ينفلت من كل معيار وكل قيمة ، كما يذهب الأدعياء وخدّام الاستبداد الرسميون . لقد صادرت الولايات المتحدة – معبودهم الجديد وملهمهم العتيد – فى خمسينيات القرن الماضى ، فن الهوى لأوفيد ، مع أنه نشر فى مصر بترجمة ثروت عكاشة ، كما صادرت الديكاميرون لبوكاتشيو ، وفى عام ١٩٤٨م أعدت الكنيسة قائمة بحظر أربعة آلاف كتاب منها : سقوط الامبراطورية لجيبون ، ومبادئ الاقتصاد السياسى لجون ستيوارت ميل ، وكتب بلزاك ، ودوماس الأب ، ودوماس الابن ، وأناتول فرانس ، وستندال ، وزولا ، ومورافيا ..

إن التفسير الماسونى لتزغيط البط ، لا يسعى إلى الدفاع عن الأدب والفن والجمال ، بقدر ما يسعى إلى الدفاع عن مصالحه فى خدمة النظام البوليسى المستبد ، لأنه أول من يعلم أن نبى الإسلام – صلى الله عليه وسلم – كافأ الأدب والفن والجمال الحقيقى ببردته التى ألقاها على كعب بن زهير حين أنشده " بانت سعاد " ، كما يعلم أن أبا نواس وأبا العلاء وحسانا وعمر بن أبى ربيعة ، كانوا أبناء الأمة وثقافتها الحقيقية ، ومن شذّ لسبب ذاتى ، عاد إلى رشده ، واعتذر عن خروجه ، ولعل استغاثات أبى نواس " إلهى ليس لى إلاك عونا .. " كانت وثيقة توبة صادقة عن بعض إنتاجه المخالف للقيم والأعراف .

أما حكاية أن الجمال هو القيمة التى يجب أن يحتفى بها الأدب ، دون مراعاة للقيم أو اعتبار للأعراف فهى مغالطة لم تعد مقبولة فى زمن توظف فيه الجماعة البشرية على اختلاف أعراقها ومذاهبها وعقائدها ، الفن الأدبى لخدمة أهدافها وأغراضها ومعتقداتها ..ولا أظن أنهم فى الكيان النازى اليهودى الغاصب فى فلسطين المحتلة مثلاً يوافقون على أن يكون أدبهم هجاء للرب الذى خلق الشعب المختار ، أو إهانة للنازية اليهودية التى تقتل الفلسطينيين والعرب والمسلمين على مدار الساعة ، أو شريط " بورنو " يتم تصويره على الورق بحجة حرية التعبير !

لقد كشفت حادثة " تزغيط البط " عن عالم من العفن فى مجتمع " الهالوك " الخادم للاستبداد ، المعادى للإسلام ، فقد عرفنا أن بعضهم يتعامل يوميا مع المخبرين داخل هيئة النشر الرسمية وخارجها ، وعرفنا أن بعضهم سواء كان لينينى الهوى أو تروتسكيا ، هو من يكتب التقارير الاستخبارية ، ويشى برفاقه إلى من يعنيهم الأمر ، كى يصل إلى مركز مرموق ، أو يحلّ مكان رفاقه ، وعرفنا أن الهدف الأسمى للهالوك فى السبعينيات وما بعدها ، هو الانطلاق بمشروع التنوير ، أي التغريب الذى يُقاوم الظلامية والسلفية ، أي الإسلام ، وعرفنا أن صراعات المصالح داخل المؤسسة = خدمة السلطة ، وداخل لجنة الشعر هى التى تحكم واقع هؤلاء ، وعرفنا أن مناخ التربص والترصد يفرض حضوره على الواقع الثقافى الرسمى الذى يصنعه هؤلاء ، وعرفنا أن بعضهم

يـرفض تجربـة الـبعض الآخـر التـى تمثـل فـى رأيـه نموذجـا لشـعرية عصـور الانحطـاط والجمـود والسكون والافتعـال اللغـوى والقـدرة الموروثـة مـن القـديم ، وعرفنا أن العمل الثقافى بالدولة – كما يرى بعضـهم – لا ضرورة لـه إلا تلخداع وتزييف وعـى الجماعـة البشرية بكل طبقاتها وشرائحها الفاعلـة ، مما دفـع فريقـاً منهم إلى عقد صفقات على المستوى العربـى والعالمى من خـلال علاقـاتهم التـى وفرتها لهم الدولـة ، وعرفنـا أن بعضـهم فـى عصـر الانحطـاط الثقـافى تحـول إلـى مملوك جديد وأمير حرب ، يتصارع لبسط النفوذ ونهب الثروات ، مع أن الخراب قد شمل كل شـىء، ولـم يبق إلا الموتى ، وعرفنـا أن الضجة التـى أثارهـا الهـالوك حـول " تـزغيط الـبط " تسـاوى عنـد بعضـهم القـذارة واللغـط والتواطـؤ والطفـح ، وعرفنا أن بعضهم لا يخافت فـى إيمانـه بضرورة إهانـة المقدس الـدينى والعدوان عليه ، ولا يرى ذلك نقيصة شعرية أو أدبية ...

وهذا الـذى عرفنـاه ، نشرته جريـدة أسبوعية حكوميـة يـوم ٢٠٠٧/٤/٢٢م فـى مقـالات عديـدة ونسـى (أصـحاب !) الجريـدة أننـا نعيش فـي دولـة دينهـا الرسـمى الإسـلام ، وتمنـع ازدراء الأديـان والمقدسـات .. والعجيـب أن أحـداً ممـن يمثلـون صـوت الإسلام لم يكن لـه وجود علـى صـفحات هـذه الجريـدة ، ولـو مـن بـاب ذرّ الرماد فى العيون !

المفارقة أن محرر الجريدة المذكورة طالب أجهزة الأمن بالكشف عن التقارير الاستخباراتية أو المباحثيـة التـى كـان يكتبهـا الأدبـاء والمثقفـون ضـد بعضـهم منـذ خمسين عامـاً كمـا تفعل دول أوروبـا .. ولـو تحقـق ذلك فسـوف نـرى أفلامـاً أكثـر إثارة من أفلام السينما عن المناضلين الـذين صـدّعوا رءوسنا بـالكلام عن الكفـاح ضد الطغمة البرجوازية الحاكمة وفسادها واستبدادها وتبعيتها للإمبرياليـة العالميـة .. وساعتها نهتف :

- ياويلنا من سلالة هنرى كورييل وأساتذتهم الماسون !

ولا عزاء للبط الذى لم يجد أحداً يقوم بتزغيطه !

***

حوار الرئيس .. ومجلة الهلال

لم يكن حوار الرئيس مبارك إلى مجلة " الهلال " (أول مايو ٢٠٠٧م) الحديث الأول الذى يدلى به رئيس الدولة فى مصر إلى " الهلال " العريقة . فقد أدلى الرئيس السادات – رحمه الله – إلى المجلة بحديث طويل فى عهد " أمينة السعيد " ، ظهر ضمن عدد تذكارى ، فى ذكرى حرب رمضان (أكتوبر) بعد سنوات من وقوعها ، وكان هذا الحديث من أهم ما أدلى به الرئيس فى حياته ، لأنه ذكر عبارة مهمّة تجاهلها كثيرون ، وهى أن هذه الحرب وما ترتب عليها ، هو أقصى ما استطاع جيله أن يصل إليه ، وأن الأمر متروك للأجيال القادمة لتحقق أكثر مما حققه هو وجيله .

وكأنه يقول : إن الوضع الحالى الضعيف هو الذى أوصلنا إلى اتفاق إذعان أزاح العدو النازى اليهودى الغاصب عن سيناء ، وعلى الجيل التالى أن يُحوّل هذا الإذعان إلى وضع الأنداد ، أو ما هو أقوى .

كانت " الهلال " حتى ذلك الحين ، ما زالت تنبض بروح قومية عامة ، وتستقطب عدداً كبيراً من كتاب الأمة ، وليس من مصر وحدها ، ينتمون إلى هويتها المتميزة وثقافتها الحقيقية ، فيما يكتبون ويترجمون ، وكان العالم العربى بل العالم الإسلامى يعدّ " الهلال " مجلة ثقافية إسلامية ، يكتب صفحاتها قمم الثقافة العربية حقاً وصدقاً ، وعرف الناس كثيراً من الأعلام على صفحاتها ، ورؤساء تحرير يمتلكون مفهوم التسامح الفكرى ورحابة الصدر والقدرة على استيعاب ألوان الطيف الثقافى ، وقد نجح أحد رؤساء تحريرها وهو الراحل " أحمد زكى " فى استنساخ الهلال بتأسيس مجلة " العربى " التى تصدر فى الكويت بصورة أكثر ثراء من حيث الشكل ، وربما المضمون ، حتى رحيله .

وواضح أن انهيار مجلة " الهلال " فى عهد محررها الحالى ، هو الذى دفعه إلى البحث عن حدث يذكّر الناس بها ، بعد أن فقدت كتّابها من أصحاب الوزن الثقيل . وكان حديث الرئيس مبارك هو هذا الحدث الذى تناولته أجهزة الإعلام ، وعلّق عليه الكتّاب وأصحاب الفكر ، وتذكّروا المجلة العريقة المنهارة !

ودخول الرئيس إلى المنطقة الثقافية أمر مهم ، وضرورى ، لتقديم صورة الرئيس الذى يقرأ ويتابع ، ومعرفة آرائه وأفكاره تجاه شعبه وتجاه العالم ، وتجاه المستقبل . وفى ظل توحش الدولة البوليسية الفاشية التى تحكمنا ، وتقهر الفكر المعارض ، وخاصة الإسلامى ، وتقصف أقلامه ، وتغلق صحفه ، ودور نشره ، وتحاكم أفراده أمام المحاكم العسكرية ، وتقنن للأحكام العرفية دستوريا ، وتهدد بتقديم الكتاب والمثقفين إلى القضاء العسكرى ، وتؤمم الانتخابات لصالح الحزب الحاكم أو أصحاب المصالح من كبار التجار والمحتكرين والفاسدين ، وتجمد النقابات المهنية والعمالية والطلابية بالصورة التى لا تزعجها .. فى ظل هذا وغيره ، فإن حديث الرئيس عن طفولته وقسوة الحياة أيامها والسير إلى المدرسة على الأقدام ست كيلو مترات ذهابا وإيابا ، واهتماماته بالقراءة فى القصة والرواية والشعر والمسرح والسينما والآثار ، ورغبته فى إعادة نشر أعمال

الرواد لتطالعها الأجيال الجديدة فى طبعات شعبية .. يفتح الباب لإثارة واقع الحياة الثقافية على الأقل ، ولا أقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فالرئيس الذى يعرف معرفة حقيقية عرابى والبارودى والرافعى مثلاً ، يستحيل أن يقبل الظلم الذى يقع على فريق من شعبه ألقى بهم فى المعتقلات والسجون منذ ربع قرن ، وبعضهم لم يحاكم ، وبعضهم الآخر حصل على أحكام عديدة بالإفراج القضائى ، ومع ذلك بقوا فى القاعات المظلمة ، وشب أبناؤهم وبناتهم دون أن ينعموا بحنانهم وأبوتهم ! كما يستحيل أن يقبل بسنّ المزيد من قوانين الأحكام العرفية لمكافحة الإرهاب ، دون أن يعالج الأسباب الحقيقية للإرهاب ، وأولها ما يشعله بعض الجلادين من نيران الغضب والعنف بقتل الأبرياء فى عز الظهر وتعذيبهم فى السجون بوحشية لا يرضاها الله ولا الناس ، بل إن بعضهم بلغت به الوقاحة أن يعلن على الدنيا بأنه سيضرب فى سويداء القلب ، وبعضهم الآخر يعلن أنه سيثقب الأجساد !

الإرهاب لا يعالج بالمزيد من القوانين ، فلدينا ترسانة قانونية بشعة صنعها الترزية والأسطوات الذين يلعنهم الله والملائكة والناس أجمعين .

الحياة الثقافية فاسدة منذ نصف قرن أو يزيد ، بسبب سيطرة الشيوعيين وأشباههم على وسائط الثقافة باستثناء سنوات قليلة ، فى عهد الرئيس السادات . والشيوعيون بطبعهم مستبدون لا يقبلون المشاركة ولا يرضون بالتعدد ، وإذا تحدثوا عن الديمقراطية – وكثيرا ما يتحدثون عنها – فإن ذلك يعنى الديمقراطية بين الشيوعيين وحدهم ، وليس مع غيرهم !

ومحرّر الهلال مثال واضح على ذلك . ويُقال إنه كان كادراً فى حزب العمال الشيوعى ، وظل محرراً متواضعاً فى مجلة " المصور " ، يقدم بعض التحقيقات الباهتة التى لا قيمة لها ، ولم يعرف عنه اهتمام بالأدب أو الفكر أو الثقافة مع أنه من خريجى دار العلوم ، التى خرّجت عمالقة فى البيان والشعر والخطابة والرواية ، من أمثال : حسن البنا وعلى الجارم وسيد قطب ومحمد عبدالحليم عبدالله ، ومحمود حسن إسماعيل ، وغيرهم ..

إلا أن المحرر المذكور انتقل فجأة إلى " لجنة السياسات " – التنظيم الطليعى للاتحاد الاشتراكى – أقصد الحزب الوطنى الحاكم .

وتم تعينه فى مفاجأة صاعقة رئيساً لتحرير أعرق مجلة أدبية ثقافية صدرت فى العالم العربى . هل قارن الرئيس بين المحرر المذكور وبين جرجى زيدان وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين وطه حسين ويعقوب صروف بل وحتى مصطفى نبيل ؟ لا أظن .. لأنه لو كان فعل ، ما عينه رئيساً لمجلة عريقة انحدر بها إلى الحضيض ، وملأها بالغثاء الذى يكتبه رفاقه الشيوعيون ، وهو كلام لا يخضع لمقاييس نقدية ولا تقاليد أدبية ولا قيم فنية أو جمالية .

ولا شك أن المحرر المذكور ، لم يعرف عنه حتى اليوم ، إلا دفاعه المتهافت عن حكومة النظام البوليسى الفاشى بطريقة تجلب السخط على هذا النظام أكثر مما تسوّغ تصرفاته وقراراته ، وهو – كما يتردد فى مقاهى وسط البلد وتؤكده بعض القرائن – يسعى إلى أن يتولى رئاسة مجلس الإدارة فى دار الهلال ،

ويجمع معها رئاسة تحرير " المصوّر " ، حيث يستعد رفيقه الذى بلغ سن التقاعد إلى الرحيل ، عن هذا المنصب ، الذى يحقق لصاحبه – مع فقر المؤسسة العريقة ماليا – امتيازات لا يحصل عليها المئات من منسوبيها ، ولو كانوا رؤساء تحرير !

فساد الحياة الثقافية بعامة ، هو الذى أتاح انتفاش " الهالوك " الشيوعى وتوغّله فى شتى المجالات الثقافية وخاصة مذ تولى وزير الثقافة الحالى ، واستعانته بالشيوعيين الذين تأمركوا ، وأشباههم بحجة مقاومة الإرهاب والأصولية ، فأدخلهم حظيرته الخربة ، وقادوا مؤسسات الوزارة ، حتى صار مثقفو الحظيرة ، هم رؤساء تحرير الصحف والمجلات الأدبية والثقافية ، وصاروا أعضاء المجلس الأعلى للثقافة ، وصاروا نجوم المؤتمرات والندوات والأمسيات و" حالة حوار " ! وصاروا المؤلفين والمترجمين ، وصاروا قبل هذا وبعده ، أشدّ خصوم الإسلام وأشد الناس ضراوة ضده ، وصاروا أيضا دعاة حرية التعبير التى تسبّ الذات الإلهية وتجعله قرويا يزغط البط وينظم المرور فى شارع زكريا أحمد ويمسكه بعضهم من قفاه !

الشيوعيون المتأمركون ، أفسدوا الحياة الثقافية ، لأنهم مستبدون وعنصريون وانتهازيون ونادر منهم من يحترم عقول الناس ، ويضحى من أجل أفكاره . أما الأغلبية الساحقة ، فيحبون المال الحرام – وخاصة إذا جاء من الصحافة والثقافة – حبّا جمّاً !

ليت الرئيس يقارن الهلال قديما بالهلال حديثا ، وليته يرى الفارق بين الرسالة والثقافة وبين (......) مما لا أحب ذكره من مجلات وزارة الثقافة وصحفها اليوم ! ويكرر المقارنة فى الكتّاب والسينما والمسرح وساعتها يخبرنا برأيه .

***

حرية التعبير .. في اتجاه واحد !

عندما يسبّون الذات الإلهية ، وينالون من النبى – صلى الله ليه وسلم - ويشتمون الصحابة رضوان الله عليهم ، ويفترون على أمهات المؤمنين ، فهذه حرية تعبير مقدسة ، لا يجوز العدوان عليها أو الاقتراب منها ، أو التنديد بها ، لأن المسلمين بإسلامهم متخلفون وظلاميون وأصوليون ورجعيون ، ولا يجوز الالتفات إليهم أو الاهتمام بهم .

أما حينما يقترب أحد من اليهود الغزاة ، وممارساتهم الإجرامية اليومية فى فلسطين وغيرها ، قتلاً وذبحاً وتدميراً وأسراً وتفجيراً وتخريباً ، فهذا حق الشعب المختار الذى ينبغى التعامل معه بكل تقدير ومكافأة على ما يمارسه من شرّ وأذى ..

أما حينما يقترب أستاذ جامعى من دراسة التاريخ ، ومن ضمنه تاريخ الكنيسة فى أوروبا فى العصور الوسطى ، وينقل ما سبق أن أقره المؤرخون الأجانب القدامى والمعاصرون ، فهذه إساءة إلى المسيحية والمسيح ، ويجب أن يعلّق على أعلى مشنقة مع التنكيل به وبعميد كليته ورئيس جامعته ووزير التعليم العالى .. فالتاريخ الذى يتناول النصرانية أو النصارى يجب أن يكون محصّناً ، وممنوعاً من الاقتراب منه ، لأن ذلك يسبب فتنة طلابية ، وفتنة وطنية وقومية وطائفية ، ويجب على الجميع أن يُقبّلوا حذاء المحامى الطائفى المتعصب الذى تخصص فى تقديم البلاغات الكاذبة والشكاوى الكيدية إلى النائب العام ، وإصدار البيانات إلى الصحف ومؤسسات ما يسمى بالمجتمع المدنى ، المحلية والدولية ، ولا يسكت حتى تقوم الدولة بكل أجهزتها بوقف الأستاذ الجامعى عن التدريس ، وتحويله إلى المحاكمة على بحثه العلمى ، وإلغاء كتابه من التدريس تمهيداً لإقالته ، ويسارع رئيس الجامعة التى يعمل بها إلى إدانته فى أجهزة الدعاية ، والتبرؤ منه ، ومن كل من ينتسب إليه ، حتى لا يغضب السادة الذين على رأسهم ريشة ، ويستمدون قوتهم من الدولة الصليبية الكبرى – أعنى الولايات المتحدة – ويستمدون صلافتهم وعجرفتهم وتوحشهم من البيت الأبيض !

المسلم فى مصر المسلمة (دينا وثقافة) ، لا قيمة له ، لأنه مسلم !

الإسلام فى مصر المسلمة (عقيدة وحضارة) مصدر الشر والرجعية والتطرف والظلامية والأصولية !

وبناء عليه لا حق لمسلم فى الحرية . ولا حق للإسلام فى الوجود !

قبل أسابيع نشروا فى مجلات مصرية تصدر بأموال المسلمين ، ما يُسمى قصيدة لشخص شيوعى من مثقفى السلطة ، جعل الذات الإلهية عسكرى مرور يزغط البط وأشياء أخرى ، ولما غضب الناس ، قالوا إنها حرية تعبير ، وأهانوا كل من تحدث عن سوء الأدب مع الله ، ووصموه بالتخلف ومصادرة الإبداع والفكر الحرّ ، والتعبير المستنير .. لقد شقوا الجيوب ولطموا الخدود ، وأقاموا مناحة ، وتحدوا مشاعر الملايين فى مشارق الأرض ومغاربها ، ونشروا الكلام

القبيح الذى يسمونه قصيدة (وياللعار الذى يستشعره كل من يعرف الشعر الحقيقى ويتذوقه) فى كثير من المواقع الإليكترونية والصحف المحلية والخارجية ، وتجاوبت صيحات خصوم الإسلام وخدام الغرب واليهود من غرب الدنيا إلى شرقها تنديداً بمن يصادرون الفكر ويمنعون الإبداع ! ولا فكر ولا إبداع ، ولا يحزنون ..

كل ما هنالك : كلام رخيص ، بذئ ، لم يتوفر له الحدّ الأدنى من أبجديات التعبير الأدبى الصحيح ، ولكن ماذا نقول ، وقد صودر الفكر الإسلامى نفسه ، والثقافة الإسلامية نفسها ، فى الإعلام والصحافة والتعليم والندوات والمحاضرات والنشاطات الثقافية الرسمية التى تموّلها أموالها المسلمين ؟

إن شخصا مثلى ،(وأمثالي كثيرون) ؛ لا يجد مكاناً لمقاله ، فى صحيفة يومية أو أسبوعية ، أو مجلة ثقافية تملكها السلطة ، على كثرة ما يصدر وينشر ويكتب ! ولكن المحامى الطائفى المتعصبّ – الذي يُشارك بمداخلات فى حلقات نقاشية على إحدى الفضائيات التى تسب الرسول r وتطعن فى عرض أزواجه وتسب الصحابة الكرام (يُراجع برنامج " سؤال جرئ " الذى يبث عبر فضائية " الحياة " التنصيرية) - هو الذى يتعقّب ما يكتبه المسلمون ويترصد ما ينشرونه ، ولو كان فى دائرة محدودة وعلى حسابهم الخاص ، ويُمارس إذلاله وعجرفته متحصّناً بالعدوّ الصليبى الأجنبى الذى يفرض حمايته على البلاد ومن فيها ، ويقرر ما يرضيه ومالا يرضيه فى ثقافة البلاد وفكرها وتعبيرها!

إننى لا أرجم بالغيب ، ولكنه الأمر الواقع الملموس الذى نراه جميعاً ، ونطالعه ونتابعه .. انظر من الذى يقود الصحف والمجلات والإعلام والتعليم والجامعات والثقافة والبرامج التلفزيونية والإذاعية .. إنهم – ي أغلبهم - خصوم الإسلام بكل امتياز ، وهم الدائبون – بكل وقاحة أحيانا – على تسفيه الثقافة الإسلامية ، والفكر الإسلامى ، والحضارة الإسلامية ، وكل ما يوصف بالإسلام فهو لديهم رجعى ومتخلف وظلامى ، يجب استئصاله أو تنحيته أو التعتيم عليه ..

أما ما يؤذى المسلمين ويشوه الإسلام ، فهو الرأى الحر الذى يقدمونه ، والثقافة المستنيرة التى ينتجونها والمواطنة الصالحة التى يتحدثون عنها ؟ هل رأيتم أعجب من ذلك يا قومى ؟ هل يريدوننا أن نرحل من الوطن بعد أن تم تدميره وإفساده وقهره ، وتقييد حرية مواطنيه المسلمين الذين يمثلون الأكثرية الساحقة ؟

هل رأيتم سلطة فى العالم لا تكشف عن عدد مواطنيها من الأقليات الدينية لأنها تراعى مشاعرهم ولا تراعى مشاعر الأغلبية ؟ وفى الوقت ذاته تعمل ألف حساب لمحام طائفى متعصب يُشارك فى سب الإسلام من خلال الفضائيات التنصيرية ، ويترصد الأغلبية ويؤذيها فى دينها ومشاعرها ووجودها بمناسبة ودون مناسبة ، ويجد ترحيباً من قنوات التلفزة الحكومية وشبه الحكومية ، ويُعطى مساحة عريضة ليقول ما يشاء ، ويهدد من يشاء ، ويُخيف من يشاء .. فى الوقت الذى لا يجد فيه أهل الأكثرية الساحقة ولو فرصة ضئيلة ليردوا ويُصحّحوا ويعيدوا الأمور إلى نصابها الصحيح ؟

لقد صار التحرش بالمسلمين مسألة منظمة وممنهجة ، وكان أبرز معالمها تلك الوثيقة التى وقعها نفر من الشيوعيين المتأمركين وخصوم الإسلام أيام التعديلات الدستورية لإلغاء المادة الثانية من الدستور .. ثم هناك تلك الحالة المزمنة التى تصرّ على مهاجمة كل مظهر إسلامى وفكر إسلامى لصالح الصليبية الاستعمارية الدولية والغزاة النازيين اليهود فى فلسطين المحتلة ، ومساندة النظام البوليسى الفاشى الحاكم ، إنهم باختصار لا يريدوننا أن نكون مسلمين ، أو نقرأ القرآن ، أو نؤمن ببشرية عيسى u كما وصفه القرآن ، أو وحدانية الله كما علمنا القرآن ، أو تحريف الكتب السماوية التى نزلت قبل القرآن كما علمنا القرآن .. يجب أن نشطب القرآن والإسلام كى يرضى عنا محامى الفتنة المتعصب السبّاب الذى يستشعر حماية أعداء الإسلام والمسلمين له .

لقد صدّع الشيوعيون المتأمركون رءوسنا بالكلام عن الحرية والإبداع ، ولكنهم صمتوا صمت القبور ، حينما دبر المحامى الطائفى المتعصّب اتهاماً رخيصاً لأستاذ جامعى ، بحث ودرس وألّف ، وفقاً لمنهج علمى موضوعى ، ثم طالب المحامى المتعصب برأسه ، ووجد منهم موافقة ضمنية على ذبحه ، بعد تجريمه بالباطل ، وإذلاله بالمكايدة ، وإهانته استقواء بأعداء البلاد والعباد !

فهل هذه حرية التعبير التى ينادى بها مثقفو الحظيرة ، ومن والاهم ؟

مثقف الأمة .. ومثقف الحظيرة !

أثار مرض الدكتور عبد الوهاب المسيري ثم موته ؛ أشجانا كثيرة حول موقف المثقف وموقف السلطة ، فمثقف مثل المسيري ينبغي ألا يتعرض للمهانة من أجل تدبير قيمة علاجه وتكاليف الإقامة في البلد الذي سيعالجه ، وأقول المهانة ؛ لأنه إنسان ينتمي إلى هذا الوطن مثل أكثر من سبعين مليونا يدفعون الضرائب ، ويقومون بواجباتهم تجاه الدولة ، ولهم في الوقت نفسه حق العلاج الذي هو أبسط حقوق الإنسان . والذي صارت بموجبه مصر مؤخرا عضوا في مجلس حقوق الإنسان العالمي !!

السلطة في مصر تمارس التمييز العنصري بين أبنائها ، فهي لا تعترف بغير الأقلية المحدودة التي تتولى تقاليد الحكم ومستلزماته ؛ من حزب حاكم وحيد ، ودعاية عريضة تقتضي ميزانية ضخمة ، تروج له ، وتغطي على أخطائه وخطاياه ، وتذيع اكاذيبه ومفترياته ضد خصومه ومعارضيه.. وهذه الأقلية المحدودة تعتمد على نمط من المثقفين والكتاب والإعلاميين ، تنطق بلسانها وتدعو لها وتتبتل في محرابها وتهجو كل مخالفيها ، ومؤهلها الأول الرئيس هو العداء للإسلام ، والخصومة لدعاته ، ولو كانوا من أكبر العقول في البلد ، لأن الإسلام هو الحرية ورفض الاستبداد والدعوة إلى العدل وحراسة القيم العليا والمال العام .. ومن ثم نشأ ما يعرف بكتاب السلطة أو كتاب لا ظوغلى ، وبجوارهم ما يعرف بمثقفي الحظيرة ، أي الذين خضعوا لسلطان النظام البوليسي الفاشي ، ودخلوا حظيرته – وفق تعبير الوزير إياه – وهؤلاء بالضرورة ، صاروا جزءا من الأقلية المحدودة التي تحظى بالامتيازات في كل شيء : الثروة والسلطة والشهرة والدعاية والوجاهة .. ثم العلاج المجاني الفوري على نفقة الدولة بطائرات خاصة – في بعض الأحيان – تذهب إلى أي عاصمة في النيا ، ولو كانت في بلاد واق الواق ، مع باقات الورود، والاتصالات الهاتفية للاطمئنان من كبار المسئولين وصغارهم على السواء !

مثقفو الحظيرة إذا ؛ هم الذين يعملون في ظل النظام البوليسي الفاشي ، ويقفون ضد إرادة الأمة ، وضد الحرية ، والعدل والأمل ، ولا يعترفون بالتنوع أو التعدد أوالتسامح في إطار الجماعة الوطنية ، مع أنهم يصدعون رءوسنا ليل نهار بالحديث عن التسامح واحترام الآخر ، ويثرثرون كثيرا عن الحرية والعدل ، ولكنهم في حقيقة الأمر مستبدون أنانيون لا يقصدون غير حريتهم هم ، ومصلحتهم هم ، ويطالبون لأنفسهم بكل الامتيازات التي يجب أن تكون قسمة عادلة بينهم هم ، وليس مع غيرهم من بقية الشعب البائس المسكين !

مثقفو الحظيرة حالة أنانية ساقطة بامتياز ، وخاصة أنهم يضمون ما يعرف باليسار المتأمرك ، أو المارينز العربي ، وخونة المهجر ،وطالبي الرزق بأية وسيلة ،وعلى حساب أية قيمة .. ولذا يجدون استجابة سريعة ومباشرة من النظام البولسي الفاشى لعلاجهم أو تنمية حساباتهم في البنوك ..أما مثقف الأمة ،مثل عبد الوهاب المسيري ، فلا مكان له في دولة النظام البوليسي الفاشي ، لأن هذه الدولة

لا تعترف بأمثاله – وهم كثر – حيث يأخذون الثقافة مأخذ الجد ، وهو مفهوم مختلف عن مفهوم مثقفي الحظيرة للثقافة ، فمثقف الأمة يوقن أن الثقافة دفع وعطاء ، وقيمة وليست منفعة . وعبد الوهاب المسيري دفع عمره وماله من أجل أمته .. بحث عن الحقيقة في الماركسية والعالم الغربي ، ولكنه وجدها في ظلال الإسلام وثقافته الإنسانية الراقية ، فانحاز إليها بلا تردد ، وراح ينافح عنها ، ويكشف أكاذيب المرتزقة واليسار المتامرك ومثقفي الحظيرة ، وأبطل مفاهيمهم الماكرة الخادعة ؛ بدءا من الحداثة التي تعني الانقطاع أو القطيعة مع الماضى (الدين تحديدا) ، وترتبط بإسقاط القيم النبيلة لحساب القيم المادية الإرهابية التي تتجعل الغاية فوق الوسيلة . كما كشف عن ارتباطها بالبارود والدمار واستنزاف الشعوب ونهبها ، من قبل الدول الأوربية صانعة الحداثة (ما يعرف بالاستعمار) .. وانتهاء بتجميل الوجه القبيح للنظام البوليسي الفاشى تحت مسمى الدولة المدنية !ومع أنه قارب السبعين (من مواليد ١٩٣٨م) – أطال الله عمره – فقد خرج إلى الشارع مع زوجه للتظاهر ضد الاستبداد والفاشية والجمهورية الملكية ، وكاد الجلادون يفتكون به دهسا أو دعسا – بمعنى أدق – بالأقدام ! ولكن الله سلم !

لقد أنفق الرجل من ميراثه على إنشاء دائرة المعارف أو الموسوعة التي تتناول الصهيونية واليهودية ، وهو عمل تعجز عنه أجهزة ومؤسسات رسمية ، واستشاط الغزاة النازيون اليهود غضبا في فلسطين المحتلة بسبب هذه الموسوعة التي تكشف زيف دعاواهم وكذب ادعاءاتهم عن فلسطين والقدس والمسجد الأقصى والتاريخ والجغرافيا عموما ، ولقد شاطرتهم بعض الأجهزة الحاكمة في بلادنا هذا الغضب ضمنيا ، وإن لم تعلن ذلك ، ولكنها عبرت عنه بأساليب أخرى مثل التعتيم والتجاهل والإقصاء !!

لو ظل المسيرى ماركسيا ، أو لو لم ينتج الموسوعة ، لكان " نجمك المفضل " في التلفزة والإذاعة والسلطة ، والمؤتمرات ، والندوات ، ومؤسسات النشر الرسمية ، ولكنه تمرد على الماركسية والسلطة جميعا ، وتحدث عن الإسلام – العدو اللدود للنظام الأميركي وأتباعة – وصار منسقا لحركة " كفاية " !

بالطبع فإن إباء لمسيرى دفعه لشكر من تعاطفوا معه ، وأعربوا عن رغبتهم في المساعدة لجمع تكاليف العلاج ، وهذا يحسب له بكل تأكيد ، ويعبر عن عفة نفس ، وهمة عالية ، وكرامة حقيقية لا تتوفر لمثقفي الحظيرة وأشباههم ، الذين تنقلهم الطائرات فورا للعلاج على حساب الكادحين والبسطاء الذين لايجدون شريط أسبرين مجانيا في مستشفيات السلطة ووحداتها الصحية !

ذات يوم كتبت – بمبادرة منى – رسالة في بريد الأهرام – أيام كان مفتوحا للناس جميعا – عن مرض عضال أصاب الكاتب والأديب الإسلامي العظيم نجيب الكيلاني – رحمه الله – وكنت قريبا منه ، وتمنيت لو أن أحدا من المسئولين في السلطة أو الصحة يبادر بعلاجه على نفقة الدولة ، خاصة وأن الرجل أنفق كل مدخراته على الأدوية والتشخيص ، ولكنها كانت صرخة في واد . وفي الوقت نفسه تقريبا ، كانت طائرة تتحرك على حساب الدولة تنقل ممثلا مشهورا – رحمه

الله – إلى عاصمة أجنبية للعلاج على نفقة الفقراء البائسين ، وكان المذكور يملك الملايين من عائد أفلامه ومسلسلاته وشركات إنتاجه !

أما نجيب الكيلاني ، فقد تكفلت دولة عربية – تستحق الشكر والامتنان – بعلاجه في أرقي مستشفياتها التخصصية ، ووفرت له ولمرافقيه تذاكر السفر والرعاية اللازمة ، اعترافا بفضله وقيمته اللتين ينكرهما مثقفو الحظيرة من خدام النظام البوليسي الفاشي !

والمفارقة أن هؤلاء الخدام لايوجهون كلمة شكر إلى الدول العربية التي ترعى مثقفينا دون منّ أو أذى ، بل يوجهون – في جليطة مرزولة – إلى هذه الدول سهاما طائشة مسمومة ، بحجة الوطنية !!دون أن يقولوا للنظام الذي ألبسهم البيادة البوليسية ، والبالطو الأصفر إياه ، وجعلهم يمسكون الخيرزانة إياها؛ عيب !! إن الواجب عليك يانظام أن ترعى كل المواطنين ، المجهولين قبل المشهورين ، بدلا من التشفي والانتقام الرخيص من الخصوم ،والإنفاق السفيه على المؤتمرات الحريمي وأشباهها التي لا جدوى منها ، وتتكلف تغطياتها الإعلامية (بند واحد فقط) الملايين !

عبد الوهاب المسيرى صاحب حق في العلاج بوصفه مواطنا قبل أن يكون مفكرا ، ومثله بقية المصريين ، ولكن الذين يتكلمون عن " المواطنة " ليل نهار ؛ يقصدون الأقلية المستبدة الحاكمة وخدامها من المثقفين وغيرهم .. وهنيئا لمثقفى الحظيرة !

***

مرثية كاتب سُلطة !

ذهب ولم يعد !

وكلنا سيذهب ولن يعود ، ولكن الذهاب سيكون إلى حيث العدالة المطلقة التى لا تستطيع السلطة نفسها ، أن تصنع شيئاً يُنقذها مما صنعت يداها إثماً وشراً وظلماً وطغياناً .. العدالة المطلقة تحاسب على كل كبيرة وصغيرة .." فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ " (الزلزلة :٧،٨) !

كان فى أوج قوته ، يستخدم قلمه للترويج للباطل ، وطمس الحقائق ، وتسويغ الظلم ، والتدليس على الناس .. لم يكن يهمه أبداً أن يقول كلمة حق عند سلطان جائر ، أو موظف فاسد ، أو مسئول مجرم .. كان كل همه أن يُوالى السلطة الغشوم ، بكل أطيافها ودرجاتها على حساب الحق والعدل والضمير .. فقد مات ضميره منذ زمان !

لا بأس أن يكون المرء فقيراً . ولا بأس أن يكون الإنسان من بيئة متواضعة ، ولا بأس أن يكون الكاتب قادماً من قوم بسطاء .. فالفقر ليس عيباً وكلنا فقراء إلى الله حتى لو ملكنا كنوز الأرض ، وكلنا من بيئة متواضعة ، فنحن فلاحون قهرهم الظلم وأذلهم الطغيان ، وكلنا بسطاء بساطة الحياة الريفية التى تجعل من الواقع – مهما اشتدت قسوته – أمراً ميسوراً بالقناعة والرضا أما أن يتحول الفقر والتواضع والبساطة إلى حال من الإجرام في حق المجتمع ، وتزييف الحقائق ، ..والانتقام من جموع الناس الذين يحتاجون إلى من يقف إلى جانبهم يدفع عنهم الشرّ والظلم والطغيان ، ويتحول الفقر إلى شهوة اكتناز تدوس كل القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة ، ويصير التواضع وضاعة لا تتورع عن مقارفة أخسّ أنواع الدجل والبهتان والكذب ، وتصبح البساطة طريقاً إلى الوجاهة المريضة والكسب الحرام ، فهو مالا يقبل به أحد ولا ترضاه الفطرة ، ولا يسجله التاريخ إلا فى صفحاته السود !

ليس عيباً أن يكافح الفقير ليصير غنياً ووجيها وصاحب سلطان .. شريطة أن يكون ذلك عن طريق مشروع حلال .. لكن أن يكون هذا الكفاح عن طريق النفاق والتدليس ، وتغيير المواقف والاتجاهات وفقا لبوصلة الطغيان والاستبداد ، فهذا هو الحرام بعينه . وهذه هى الخسّة بذاتها ..

صاحبنا قضى عمره يؤيد الحكم الناصرى ، ويشيد به ، ويتغزل في محاسنه ومميزاته كما يراها ، حتى إذا انتهى الحكم الناصرى وذهب زمانه ودالت دولته ، فإذا به يتقرب إلى النظام الساداتى ، ويلعن النظام الناصرى الذى آواه ، ونقله من الوضاعة إلى الوضعية ، ومنحه فرصة النمو الاجتماعى والانتقال من حال كان فيها صورة للامتهان والابتذال ، إلى شخص آخر له مكانة مرموقة ووضعا ملموساً يُشير إليه الناس بالبنان ، ولكنه انقلب على نظام الأمس الذى كان يكيل له المدائح والمطولات ؛ ويقرظ أعماله ولو كانت تحويل البلاد إلى سجن كبير ، يُجلد فيه الشرفاء ، ويُمتهن المثقفون ، ويُعلق فيه المعارضون على المشانق والعرائس !

وفى النظام الجديد الذى وارب باب الكلام والتعبير ، تطوح فى حلقة الذكر مع الدراويش الجدد ، وراح يُسيغ عليه كل صفات الشرف والنبل والرفعة ، حتى كاد يؤله صاحب النظام .. والمفارقة أنه لم يجد غضاضة فى العمل فى حزب معارض اعتقل السادات رئيسه ورماه فى السجن مع من رأى أنهم مرميون فى السجن " زى الكلاب " ..! كان فى الحزب المعارض يمدح رئيسه ويكتب عن تاريخه ويتخذ من صحيفته ميداناً لتصفية حساباته مع من يكشفون عن انتهازيته ونفاقه الرخيص وأسلوبه المتدنى !

وبعد أن ذهب السادات إلى لقاء ربه ، صار نجما فى جوقة النظام الذى خلفه ، أى النظام الحالى ، وكان قد جرّب كيف تفتح الأبواب على مصراعيها لكتاب السلطة وخدامها .. الصحافة القومية على اتساع صفحاتها فى أقوى جرائدها ومجلاتها ، برامج التلفزة والإذاعة على تعدد أنواعها واختلاف ألوانها ، الندوات والمؤتمرات والمعارض ولجان المجالس العليا والسفلى فى الثقافة والإعلام والتعليم ، عضوية المجالس النيابية الصورية بالتعيين وليس بالانتخاب ، لجان كتابة التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية ... كل ما تتخيل أن الدولة البوليسية الفاشية تصنعه وتخترعه لإلهاء الناس عن واقعهم المرير وممارساتهم الاستبدادية تجده قائماً فيه وموجوداً بداخله ، ورابضاً على بابه ..

وكل الغثاء الذى كان يسطره ويقوله ، يظهر فى الحال ضمن كتب ضخمة ومجلدات كبيرة ويُنشر على الشعب البائس المسكين ، الذى كان- للإنصاف – يُقاطعه ولا يرى فيه إلا حالة من الانحراف التى يعالجها الشعب بالتجاهل ، ولكن صاحبنا فى كل الأحوال كان يتقاضى من دم هذا الشعب المغلوب على أمره ، الظالم لنفسه ، مكافآت ضخمة ، وتتزايد أرصدته فى البنوك وتنمو وتكبر لدرجة أنه لم يكن يعرف الرقم الذى وصلت إليه.

كان الشىء الوحيد الذى يلح عليه ، ويلعب به ، ويتقرب به إلى السلطة البوليسية الفاشية هو هجاء الإسلام والمسلمين .. على اعتبار أن الإسلام لا بواكى له والمسلمين حائط واطئ يقفز عليه كل من يسعى إلى الجاه والثروة والتمتع بمزايا النظام الحاكم .

ولكنه ذهب .. وبقى الإسلام والمسلمون ! وتلك إرادة الله .

ترى هل كان وفياً لأستاذه الذى فتح له صدره وبيته وساعده على الحصول على أرقى الشهادات العليا ؟ لقد انقلب عليه ، وأساء إليه ، ولم يجد فى ذلك حرجا أو غضاضة ..

من ينقلب على أستاذه ، لا يجد غضاضة فى الوشاية الكاذبة بزميل له في الجامعة لا يعرفه ، ليتقرب إلى النظام الفاسد الذى يغدق عليه ، ويمنحه مالا يستحق من أموال الشعب البائس الظالم لنفسه ..

أذكر أن حواراً دار بين هذا الزميل الأستاذ الجامعي ؛ وبين رئيس تحرير صحيفة حزبية حول إحدى القضايا المتعلقة بشخصية وطنية . فإذا بصاحبنا يقحم نفسه فى الحوار ليتقرب إلى الحزب ورئيسه ، ويكتب أن الزميل المذكور من الإرهابيين (الإسلاميين) الذين ينشرون الإرهاب بين طلابهم ، وهو بلاغ

رخيص لمن يعنيهم الأمر فى النظام البوليسى الفاشى لإيذاء الزميل ، الذى لم يسكت وأنصفه القضاء إنصافاً تاريخيا نشرته معظم الصحف غير الحكومية .. والطريف أن الزميل لم يستطع أن ينفذ عليه الحكم ، لأن صاحبنا كان يسكن فى أربعة أو ثلاثة بيوت ، كل بيت فيه زوجة فى عمر بناته أو أحفاده باستثناء " أم العيال " ، وكلما ذهب رجال التنفيذ إلى بيت ، قالوا : إنه لا يُقيم هنا ، مع أنه كان عضواً فى مجلس نيابى ويملك حصانة ويظهر اسمه فى أكثر من صحيفة طوال الأسبوع !

لقد لاحظت أن كتاب السلطة من زملائه القدامى والجدد لم يذكروه بكلمة ، باستثناء الخبر الذى نشرته إحدى الصحف الحكومية .. وهذه آخرة خدمة الغزّ .. وآخر أخلاق العبيد .. فاللهم ارحمنا من العبيد وسادتهم الظالمين .. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

***

مسلسل الدالى .. وتشويه الرجال!

يحكى عثمان أحمد عثمان ، فى مذكراته التى نشرها المكتب المصرى الحديث عام ١٩٨١م تحت عنوان : " صفحات من تجربتى " ، هذه الحكاية :
" اتصل بى ذات يوم فى التليفون الأستاذ أحمد رجب – الصحفى المعروف ، يطلب منى تعيين رجل يعرفه .. وأخفى عنى أن هذا الرجل من (أصحاب السوابق) ، وإنه كان متخصصا فى ارتكاب جرائم النشل ، وله تسع وثلاثون سابقة .
وأصدرت قرار تعيينه .. وعندما التقيت بالرجل حكى لى عن كل جوانب حياته .. بما لها وما عليها .. وأحسنت معاملته عندما عرفت ظروفه .. وتاب إلى الله .. وأدى فريضة الحج .. ولم يصبح موظفاً عادياً فى الشركة ، ولكن أصبح يعمل فى قسم خزائن " المقاولون العرب " يمسك بيده عشرات الآلاف من الجنيهات ..
وكان أن اتصل بى أحمد رجب بعد فترة ، لكى يطمئن على الرجل الذى أخفى ظروفه ، وينبهنى إلى ماله من سوابق .. فوجئ بأننى عرفت كل تفاصيل حياته ، وأنه كان يرتكب جرائم النشل .. ولكن المفاجأة الكبرى كانت لأحمد رجب عندما عرف أن هذا النشال أصبح أحد الأمناء على خزائن " المقاولون العرب " ..
ويُضيف عثمان معلقاً على هذه الحكاية : " هذا هو الإنسان المصرى الأصيل .. رغم انحرافه لأسباب اجتماعية خارجة عن إرادته ، عندما وجد من يتفهم ظروفه ، ويفتح له قلبه ، كشف عن طيب معدنه " ص ٥٥٥
هذه واحدة من الحكايات الكثيرة التى تضمنها كتاب عثمان أحمد عثمان ، أشهر مقاول فى العالم العربى ، على امتداد النصف الثانى من القرن العشرين . ومن خلال هذه الحكاية وبقية الحكايات يكشف الرجل عن أسلوبه فى مواجهة ما يعترضه من ظواهر تبدو معوقة لحركته ، مصادمة لنشاطه ، بعيدة عن الاستقامة والسلوك ، سواء كانت الظاهرة فردية أو رسمية .
وقد أثار المسلسل الذى تعرضه القنوات الفضائية باسم " الدالى " عاصفة من الغبار والتشويه حول الرجل الذى لا أعرفه ، وخدم بلاده أكثر من أربعين سنة خدمات جليلة ، فى الحياة المدنية أو المجال العسكرى ، وكانت قصة حياته نموذجاً للعصامية والكفاح الشريف والتربية الإسلامية المضيئة .
الفكرة الأساسية ، صعود الرجل من صاحب ملاليم إلى صاحب ملايين ، وبدلاً من تقديمها فى صورتها الحقيقية التى تكشف كيف تربى الرجل وتعلم ونجح وصار نائباً لرئيس الوزراء فى مصر ، ونقيباً للمهندسين ، وأشهر رئيس للنادى الإسماعيلى ، فضلاً عن كونه أشهر مقاول ، وصاحب أو مؤسس أكبر شركة مقاولات فى العالم العربى اسمها " المقاولون العرب " تضم خمسة وخمسين ألف عامل يملكون الخبرة والإرادة والإيمان ، فضلا عن عشرات الشركات الأخرى

صناعية وزراعية وتجارية .. قدموا لنا رجلاً آخر أقرب إلى زعماء العصابات ، يعتمد على البلطجة والمكر والخداع والرشوة .

وبدلاً من عرض مواقفه السياسية الحقيقية فى العهدين الناصرى والساداتى ، قلبوا المواقف وجعلوها بالمعكوس ، وأضافوا إليها ماليس منها ، لدرجة أننا شاهدنا مسلسلاً بوليسياً ، بدلاً من مسلسل اجتماعى تربوى ، يُقدم نموذجاً واقعيا ، يقتدى به أبناؤنا ، ويُقلّدونه فى شحذ العزيمة والهمة والإرادة ومواجهة الصعاب والعقبات .

ومع أن تجار المسلسل نفوا أن يكون الدالى هو " عثمان أحمد عثمان " ، فكلامهم غير صحيح ، ولا أساس له فى حقيقة الأمر ، فلا يوجد مقاول ذهب مع الرئيس السادات إلى القدس غير عثمان ، ولا يوجد مقاول قاد عملية بناء السد العالى ودشم الصواريخ ، وحظائر الطيران ، ومدن القناة المدمرة ، ومدن القناة الجديدة : فيصل وزايد والصباح ، وقبل ذلك فى أوائل الخمسينيات " كفر عبده " ، فضلاً عن المدارس والمصانع والشركات والمساجد والمستشفيات والكبارى العلوية .. غير عثمان ..

وكان الأولى بتجار المسلسل أن يعرضوا التجربة الحقيقية من خلال كتاب عثمان الذى شوّهوه وفبركوا على أساسه عملاً أقرب على المسلسلات الأمريكانى منه إلى الواقع المصرى الطيب .

إن قصة الرجل كما رواها تحمل كثيراً من المواقف الدرامية الإنسانية التى تشدّ الناس أكثر من تلك المواقف المفتعلة التى تقوم على الحشو والتقليد ..

إن الرجل يحكى ببساطة قصة صبى يتيم عمل (صبى ميكانيكى) ، وحرّر شهادة " فقر " ليُعفى من مصروفات كلية الهندسة ، وصنع دراجة بستين قرشاً لينتقل بها طوال دراسته الجامعية من باب الخلق إلى الجيزة ، وتلقى تربيته من أم بسيطة متدينة رفضت الزواج بعد وفاة أبيه لتقوم على شأنه وشأن إخوته ، وعرف دينه على يد الإمام حسن البنا ، الذى درّس له فى مدرسة الإسماعيلية الابتدائية ، وزوج شقيقته العالم الجليل الشيخ على حسب الله .. ثم شق طريقه بعد التخرج من خلال عمل المقاولات ، معتمداً على الله ، ثم الصدق والأمانة والجدية واليقظة مع الفجر ، وسبق العمال إلى مواقع العمل ، والمشاركة بيده والاستماع إلى آراء من يعملون معه ، ولو كانوا عمالاً بسطاء ، وكانت ذراعه اليمنى فى مسيرته شخصية مسيحية هى " رياض أسعد " الذى كان نعم الصديق الوفى ، وتحمّل معه متاعب العمل وصدماته بصبر وقناعة .. داخل البلاد وخارجها ..

ويبدو أن تجار المسلسل ، وهم يسطون على كتاب عثمان وحياته ، ويشوهونهما ، كانوا يطمحون إلى غايتين : الأولى تحقيق المزيد من المكاسب المادية على حساب الرجل الذى لا يستطيع دفاعاً عن نفسه بعد رحيله ، والأخرى تجريده من علاقته بالإسلام ، فلم نره يصلى مرة واحدة ولا يقرأ القرآن الكريم ، ولا يسير وفقاً لمنهج القرآن فى تعاملاته وأعماله ، ولا يحتضن مئات من الإخوان المسلمين الذين حملوا معه عبء البناء والتعمير انطلاقاً من الضمير والأمانة والعفة والشرف .

ليت الحكومة تقدم قصة حياة عثمان بعد اختزالها لطلاب المدارس ، وليت منتجين أصحاب رسالة حقيقية يقدمون مسلسلاً آخر يقوم على أساس هذه القصة ، ليرى أبناؤنا نموذجاً يُحفزهم على العمل والتمسك بالدين والقيم والأخلاق والتسامح .. وغفر الله لتجار مسلسل " الدالى " !

***

الدالي .. مجددا!

أفضّل عادة ألا أردّ على الآراء المخالفة لي في القضايا الاجتهادية التي تحتمل أكثر من رأى وأكثر من وجهة نظر ، فمثلما أقول رأيي وأعرض وجهة نظري ، فحق الآخرين أن يفعلوا ذلك مكفول، مهما كان مخالفا أو مناقضا لي .. وما كنت أظن أن مقالي عن مسلسل الدالي الذي اختطف قصته تجار المسلسل من كتاب عثمان أحمد عثمان (صفحات من تجربتي) ، وحاولوا التغطية على جريمتهم بإضفاء نوع من البوليسية الأميركية عليه ، وتحوير بعض الأحداث ، واختلاق بعض الشخصيات ؛ سيثير غضب بعض الناس وخاصة من أهل اليسار الذين يمثل عثمان أحمد عثمان بالنسبة لهم حالة من الحساسية يصعب علاجها ، مع أن بعض أصحاب التعليقات التي وصلتني وزعم أصحابها أن " المصريون " حجبتها ، أشارت إلى أن المسلسل قدم الصحفي الشيوعي في صورة "نقية " و" شجاعة " " ومثالية " لدرجة أنه قدم استقالته من المجلة التي يعمل بها ، وكان حريصا على التعامل مع عثمان بندّية كاملة تصل إلى درجة التو قح أحيانا ، وهو ما لا وجود له في الواقع ، ولا يعرف عن اليساريين الذين يغلب عليهم طابع " الغاية تبرر الوسيلة " ، فضلا عن كون عثمان من الرجال الذين لا يسمحون لمثل الصحفي الذي قدمه المسلسل أن يتجاوز حدوده.

لقد تصوّر بعضهم أنني حين ذكرت في مجال التدليل على أنهم سرقوا كتاب عثمان بأنه المقاول الوحيد الذي سافر مع السادات إلى القدس أنني أوافق على الاستسلام للغزاة النازيين اليهود ، والذهاب إليهم في عقر دارهم ، وطلب الصلح منهم .. فقد كنت من أوائل الذين عارضوا هذه الزيارة ، مع إدراكي للوضع السيئ الذي كانت تعيشه مصر اقتصاديا : الخزانة خاوية ، مظاهرات الخبز التي سماها السادات انتفاضة الحرامية ، واستغلها الشيوعيون استغلالا جيدا، بعض الأخوة العرب غرقوا في أموال البترول التي رفعت أرصدتها دماء المقاتلين المصريين في حرب رمضان ، ضنوا بالفتات على مصر ، وفضّلوا الإنفاق على حدائق الحيوان في لندن ومصارف أخرى .. الجلادون الذين كان يهمهم إشعال النار بين السلطة والشعب وإثارة القلاقل بحجة الحفاظ على الأمن إشباعا لمركبات نقص اجتماعية .. وغير ذلك من أسباب منطقية دفعت الرجل للبحث عن حل لأزمة بلاده مع عدوّ فاجر يدعمه من صنعوه وزرعوه في فلسطين .. وبالمنطق المادي فالسادات تصرف بحكمة، ولكنه بمنطق آخر فرط وضيّع .. وعلى كل حال فقد سجلت رأيي بعد أن نشرت مقالات عديدة في حينه في الاعتصام والدعوة – ردّ الله غربتهما- من خلال كتاب لي اسمه الصلح الأسود ، صدر في أوائل الثمانينيات وقبل أن يولد بعض من يريد أن يعلمني معنى الوطنية !

والمشكلة في كل الأحوال أن تقديم عمل يزيف الحقيقة ويشوه الرجال ، يسيء للأمة قبل أن يسيء إلى المعنيّين بالعمل أنفسهم ، وكان الناس يتوقعون تقديم شخصية عصامية ، تكون قدوة للشباب الذين يعانون البطالة ، ويدفعون بأنفسهم إلى الموت غرقا ، أو دخول السجون للحصول على فرصة عمل في الدول

الأوربية أو البلاد العربية ، وكتاب عثمان وفقا للأصول الأدبية غني بالمواقف الدرامية والدلالات الاجتماعية ، والشخصيات الخصبة التي تمتلئ بالمشاعر والقيم الإنسانية في صورتها الإيجابية أو السلبية .. ولكن تجار المسلسل آثروا السرقة وشوهوا المسروق ، وكذبوا على التاريخ ، تنفيسا عن أحقاد صغيرة ، وسعيا لمكاسب من حرام !

لقد بدأ الرجل من الصفر ، وجاهد وكافح ، نتيجة لتربية إسلامية ناضجة ، وموهبة ربانية ساطعة ، وإرادة فولاذية لا تنحني ، وعزيمة راسخة لا تنهزم ، ورفض الوظيفة الحكومية ، وفضل العمل الحر ، وعاش تجربة من أعمق التجارب جعلته يشارك في أخطر الأحداث التي مر بها الوطن في ظروف غاية في الصعوبة والتعقيد بدءا من إعادة إعمار قرية كفر عبده على قناة السويس حيث كان الجيش الإنجليزي الغازي يحتل البلاد ، ويستذل العباد ، مرورا ببناء السد العالي ، ثم التجهيزات العسكرية في بناء حظائر الطيران ودشم الصواريخ تحت القصف الوحشي الأعمى الذي تشنه طائرات العدو الفاجر ومدفعيته ، ثم بناء مدن القناة المدمرة والجديدة ، وقبل ذلك كان بناؤه لكثير من المؤسسات في الدول العربية مابين مدنية وعسكرية ، وبعد ذلك إنشاء عشرات المصانع والشركات الصناعية والزراعية والتجارية والسياحية دون أن يحمل الحكومة عبئا أو ميزانية !

ويبدو أن الذي يزيد من حساسية بعض أهل الهوى هو الإشارة إلى دور الإخوان المسلمين في شركات عثمان ومؤسساته بما عرف عنهم من إخلاص وصبر وأمانة ووفاء وإتقان .. فالقوم يرون الإخوان أخطر من الصهاينة وأشد ؛ مع أنهم لم يؤذوا أحدا أو يتآمروا على أحد .. حتى لو افترضنا جدلا أن بعض المنتسبين إليهم شذ عنهم وعن منهجهم ؛ فهل هذا يسوغ تلك الحملة الشرسة التي يشنها بعض المنتسبين إلى اليسار ؟ وهل يجوز في المقابل أن نتهم جميع اليساريين بالعمالة والخيانة والعمل لحساب الأنظمة المستبدة والسعي للارتزاق والتكسب باليسارية ؟ لا أظن أن ذلك يجوز ، فأنا أعرف بعضا منهم أى من اليساريين ، كان يدفع من جيبه ، وكان هدفه الأساسي خدمة وطنه والوصول إلى الحقيقة .. وبالمثل فإن الإسلاميين عموما والإخوان خصوصا لا يعرفون التجارة بالدين ، لأن من يتاجر بالدين لا يدخل السجن ، ولا تصادر أمواله ولا تغلق مكتباته ، ولا يحرم أولاده من دخول الكليات العسكرية والأمنية ، أو العمل في النيابة والقضاء والجامعات ، والصحافة الحكومية ، والسلك الدبلوماسي أو وزارة الخارجية ، ولا يسجل اسمه في كمبيوتر الداخلية بوصفه (مطلوب فورا أو مطلوب لاحق) .

وإذا كانت بعض الصحف تحاول أن تبرئ تجار المسلسل من جريمة السرقة والسطو على كتاب عثمان أحمد عثمان لتبييض وجه اليساريين وإدانة أنور السادات الذي خاض أول حرب هجومية في تاريخنا الحديث ، وطرد الروس المتآمرين الذين كانوا يمثلون حالة أخرى من الاحتلال لدرجة أن منعوا قادة الجيش المصري من دخول القواعد العسكرية في بلادهم وعلى رأسهم الفريق أول

محمد فوزي – رحمه الله - وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ،ثم طرد أتباعهم ممن كانوا يحاولون تحويل مصر إلى دولة شيوعية تابعة للسوفيت .. فإننا نأمل أن يتقدم الفنانون أصحاب الرسالة بتقديم مسلسل صادق ، ينتمي إلى الحقيقة والفن الواقعي ، وليس فن المافيا الأميركاني ؛ ليتعلم شبابنا معني الكفاح على أرض الوطن ،وصعود السلم درجة درجة ، وليس بالمخاطرة إلى حد الموت في زوارق التهريب إلى شواطئ أوروبة، أو بتأشيرات الزيارة التي تقود إلى السجون .

رحم الله عثمان أحمد عثمان ، ومن شاركوه مسيرته وأفضوا إلى ما قدموا ، وعفا عنهم وعنا أجمعين.

***

الوزير .. والمحرقة واليونسكو !

" أذل الحرص أعناق الرجال " !
رضي الله عنك يا سيدي أبا بكر الصديق ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ؛ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا .
كان الرجال في عهد أبي بكر غير رجالنا ، وكان سلوكهم محسوبا ،وكلامهم موزونا ،ولذا وجه أبوبكر كلامه الموزون بميزان الذهب إلى الرجال ليكونوا على العهد قادة وقدوة ، وسيرة ومسيرة ، تخدم الدين والأوطان والإنسانية ..
لقد روعني ذاك التدليس الذي مارسته جريدة الوزير ، حين صاغت تذلله وتقربه وخضوعه لأولاد الأفاعي في فلسطين المحتلة ؛ من أجل أن يحظي بالصعود على كرسي رياسة"اليونسكو " ، ويترك كرسي وزارة الثقافة الفاسدة المفسدة .
قالت جريدة الوزير في عناوينها بالصفحة الأولى العدد٤٤٦ الصادر في ٢٠٠٩/٣/٣١م :
[خلال احتفالية اليونسكو لحوار الثقافة والأديان – فاروق حسني : الإنسانية تتطلع إلى عودة التقارب والسلام].
في متن الموضوع قالت الجريدة : [شارك الفنان فاروق حسني وزير الثقافة السبت الماضي في فعاليات الاحتفالية التي ترعاها المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم " اليونسكو " لإطلاق المشروع الثقافي المعروف باسم " علاء الدين " ، والتي تقام حاليا بالعاصمة الفرنسية باريس بمشاركة ممثلي ٣٠ دولة عربية وإسلامية ، والهدف منها هو دعم الحوار بين الثقافات والأديان ، وبشكل خاص بين الديانتين الإسلامية واليهودية ..].
ونقلت جريدة الوزير كلمته التي ألقاها في الاحتفالية المذكورة ، وأوردت منها قوله : " لا بد أن نخلص من المأساة الإنسانية التي عاشها اليهود إلى واقع جديد يتلافى تكرار هذه المآسي في أي من المجتمعات الإنسانية ، مؤكدا على تطلع الإنسانية إلى عودة التقارب والسلام الذي ساد لقرون عدة في وقت لم يكن فيه دين الفرد سواء يهوديا أو مسيحيا أومسلما عائقا أمام المشاركة في تطوير حضارة مجتمع ، ودعا حسني إلى الالتزام بنداء اليونسكو لاعتماد ثقافة السلام التي تحث على تغيير الأفكار السائدة حول الصراع والحروب " .
الجريدة دلست ، بل كذبت ، ولم تذكر أن الاحتفالية الغرض منها مكافحة إنكار المحرقة اليهودية المزعومة في العالم الإسلامي العربي من خلال نشر كتب باللغات العربية والفارسية والتركية . ولم تذكر الجريدة الوزير أن " دافيد روتشيلد " رئيس مؤسسة إحياء ذكرى المحرقة ؛ أوضح أن الهدف من المشروع – يقصد مشروع علاء الدين – هو مجابهة إنكار المحرقة في العالم الإسلامي العربي ، وهو ما صرح به لجريدة " الشروق " المصرية . ولم تذكر جريدة الوزير أن " ماري ريفكو ليفييتشي " المندوبة العامة للمؤسسة ؛ قد ذكرت في وقت سابق : " أن المؤسسة اكتشفت تكاثر المواقع التي تنكر المحرقة باللغتين العربية والفارسية إثر تصريحات الرئيس الإيراني " محمود أحمدي نجاد " والرسوم المسيئة للرسول – صلى الله عليه

وسلم ، وأن الأمر لا يقتصر على أداة لنزع شرعية دولة إسرائيل " . ولم تذكر جريدة الوزير أن سيادته كان مبعوثا من الرئيس المصري وألقى كلمة باسمه جاء فيها : " أن مؤتمر إطلاق مشروع علاء الدين يتضمن معنيين متضادين حيث يبعث أحدهما ذاكرة القسوة والترهيب ، بينما يبعث الآخر ذاكرة الرحمة والسلم ، وما بينهما منطقة أمل نجتمع فيها اليوم لرفض الأول واستنكاره ،والنظر في تمكين المعنى الثاني وإشاعته " .

جريدة الوزير افترضت أن القارئ ساذج وشبه أمي ولا يطلع على مصادر إخبارية أخرى ، فأخفت عنه أن الاحتفالية للدفاع عن المحرقة ، وقدمت الوزير بوصفه داعية تقارب وسلام ،ولم تقل الجريدة إن الاحتفالية انعقدت بسبب اتهام العرب المسلمين بإنكار المحرقة في مواقع كثيرة .

الوزير إذا ذهب ليغازل اليهود ، ويؤيد ادعاءهم ، ويبكي على المأساة الإنسانية التي عاشها اليهود ، دون أن يتفوه بكلمة واحدة عن محرقة غزة الأولي أو محرقة غزة الثانية التي أعدمت أربعمائة وألف فلسطيني من المدنيين ، وأصابت وجرحت خمسة آلاف منهم ، معظم الشهداء من المصابين والجرحى من الأطفال والنساء والشيوخ الذين لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وهدمت أحياء بكاملها بما فيها من مساجد ومستشفيات ومدارس وكليات ومؤسسات ....

الوزير الطامح إلى كرسي لا قيمة له إلا لدى الغرب والصهاينة ، بكى واستبكى في كلمته من أجل اليهود ومأساتهم المفترضة ، ولكنه لم يتعاطف مع أهل فلسطين ومأساتهم الحقيقة الواقعة والموثقة بالأفلام والصور والشهادات الحية التي رآها الناس على شاشات التلفزة وعلى صفحات الصحف في شتى أنحاء العالم .

أيكون " جاك شيراك " رئيس فرنسا السابق ؛ أكثر رحمة وتعاطفا مع الفلسطينيين من الوزير العربي المسلم فاروق حسني ؟

لقد طالب شيراك في كلمته التي ألقاها في الاحتفالية ، وكما نشرت جريدة الوزير في العدد نفسه ، الكيان النازي اليهودي في فلسطين والعالم ، بضرورة إنشاء " دولة فلسطينية مستقلة " قابلة للحياة ، وداعيا الكيان الصهيوني لإدراك أن مصادرة الأراضي الفلسطينية وبناء مستوطنات لا يساهم في بناء سلام ، وإنما السبيل هو احترام القانون وحقوق الإنسان .

الوزير يقول إن الإنسانية تتطلع إلى التقارب والسلام . وهذا كلام صحيح ، ولكن هل يعتقد معاليه أن الغزاة النازيين اليهود القتلة في فلسطين المحتلة ، يريدون تقاربا وسلاما بحق ؟ هل يعلم الوزير أن هؤلاء القتلة لا يؤمنون بشيء اسمه " السلام " إلا نغمة سخيفة يرددونها بعد أن يرفضوا قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن التي لم ينفذوا منها قرارا واحدا ، والاتفاقات التي عقدوها في أنا بوليس وشرم الشيخ وكامب دافيد الثانية والرباعية الدولية ؟ هل يعلم الوزير الموقر أن قادة العدو النازي اليهودي في فلسطين المحتلة يطالبون بضرب السد العالي بالقنابل النووية لإغراق الدلتا ، وسبق أن أهانوا رئيسه الذي بعثه إلى المؤتمر ؟

إن معالي الوزير الفاضل يتهافت لإرضاء الغزاة النازيين اليهود القتلة بكل السبل ، وما دار في البرنامج التلفزيوني قبل عدة ليال بينه وبين مجموعة من المذيعين حول

استضافة موسيقار نازي يهودي ، ودفاعه المستميت عن استضافته في مصر بحجة أنه رجل سلام ؛ رآه الملايين في كل مكان ،وأدركوا من خلال الحوار أن الوزير على استعداد لعمل أي شيء من أجل أن يحظى برضا الغزاة النازيين اليهود القتلة في فلسطين المحتلة .. ولوكان ذلك ضد مصالح الدولة ومشاعر الأمة ، وهو أمر يصعب وصفه على مثلي !

أما كان يكفي الوزير المبجل مقالات المديح الرخيصة والتملق البائسة التي تنشرها جريدته ، وتتغزل في شخصيته ، وتزعم أن المنصب هو الذي يسعى إليه ، وأنه فنان عالمي (؟؟) وأنه نموذج للتمفصل (؟) بين حضارة الإسلام التاريخية العظمى ، والحضارة الغربية الحديثة ؟ (حد يفهمني معنى التمفصل أثابكم الله !).

إن الذين يشيدون بالوزير ويرون من محاسنه مهاجمة الحجاب في الشريعة الإسلامية ، ويعدونه ليبراليا أصيلا في دفاعه عمن يسبون دين الأمة وينالون منه على صفحات جريدته وكتب وزارته ومن خلال مجالسه ولجانه ، يمكن أن يحققوا له الاكتفاء الذاتي ، وإشباع أعماقه كي لا يتهافت على استرضاء القتلة النازيين اليهود الذين يحتلون قدسنا ومقدساتنا ، ونبارك المنصب مقدما حتى لا يشكك أحد في محرقة اليهود ، وإن أنكر اليهود محرقة غزة والشعب الفلسطيني!

***

الجنازة حارة .. و ... !

شاعت بين المثقفين في وسط البلد ذات يوم نكتة تقول إن المرتجع من مجلة " إبداع " يزيد مائتي نسخة عن المطبوع ، والنكتة في المبالغة الشديدة تشير إلى أن " إبداع " مجلة راكدة لا يهتم بها المثقفون ولا عامة الناس ، لأنها رديئة المنهج هابطة المستوى ، ولا تمثل الثقافة القومية بحال . فهي مغلقة على مجموعة من الناس (شلة) لهم مصالح مشتركة ومنافع متبادلة ولا يعنيهم أمر الأدب والفكر من قريب أو بعيد اللهم إلا بما يحقق هذه المنافع وتلك المصالح . صحيح أن العائد منها يتضاءل أمام عائدهم من اللجان والجوائز والإعلام والسفريات وصحف الخليج ومجلاتها ، ولكن القوم يؤمنون أن " الحسنة القليلة " تمنع " بلاوى كثيرة " ، ولا يجوز أن يتركوا مثل هذا المنبر الخائب يقع في يد أعدائهم من الظلاميين الرجعيين المتخلفين الذين لا يعرفون قيمة فن " البورنو " وتجلياته الجمالية ، ويتمسكون بأصولية " بائدة " تعيد المجتمع إلى البداوة والتخلف آلاف السنين ، وتنصب محاكم التفتيش في ضمائر المستنيرين التقدميين " المشخلعين " الذين يتقدمون بالوطن التعيس إلى الأمام ليكون أقوى بلد في المنطقة .. يصنع القنابل النووية وتخضع له العواصم والقواصم ..

أقامت الجماعة أو الشلة جنازة حارة على " إبداع " التي لا تعرف الإبداع ، وشبعوا لطماً وصراخاً ، وشقوا الجيوب وضربوا الصدور ، ودعوا بدعوى الجاهلية ، لأن القضاء أصدر حكما بإلغاء ترخيص المجلة التقدمية المستنيرة ، التي نشرت كلاماً عن تزغيط البط يسب الذات الإلهية ويسخر منها !

ارتفع الصياح والعويل بانضمام بعض السيدات الصالحات القانتات المستنيرات التقدميات ، يتباكين على انشغال السادة الظلاميين الإرهابيين الأصوليين الرجعيين بموضوع تافه وبسيط جداً ، مثل سب الذات الإلهية ، وتساءلن : هل يمكن لقصيدة تسبّ الله أن تغير إيمان الناس ؟ وأجيب حالاً : كلا ، بل إنها تزيد إيمانهم وترسخ عقيدتهم وتوحد قلوبهم على قلب رجل واحد ليواجهوا الإلحاد والبلطجة والاستهانة بمشاعر الناس . ماذا لو أن أحداً قال لواحدة منهن : إنك كذا .. على مرأى ومسمع من الناس ، أو نشره في مجلة محدودة التوزيع (مرتجعها أكثر من مطبوعها حسب النكتة) ؟ هل هذا ينقص منها شيئاً أو يغير رأى المجتمع فيها ؟

على كل حال ، هناك حالة من الندب والتعديد في الأوساط التقدمية ، لأن شيوخ الحسبة – كما يسمونهم – بزعامة الشيخ يوسف البدرى يعطلون الفكر والثقافة والأدب والإبداع والتعبير ويصادرون حرية الفن والفنانين ويلاحقون المثقفين المستنيرين الغلابة بقضايا التعويض من غير داع أو سبب لدرجة أنهم باعوا غرف الصالون والسفرة والمسافرين والنوم كمان ، وباتوا على الأرض ، ويعيشون الآن على النوتة ، والسحب الشكك من دكان عم جودة البقال ! يا حرام !

ومع أنك لا تستطيع أن تعزى في هذه الجنازة الحارة ولا تتمكن من قول كلمتين لجبر الخواطر ، وتبريد القلوب ، في أية جريدة أو مجلة أو برنامج من برامج الكلام الهوائي في التلفزة والإذاعة أو في الندوات والمؤتمرات أو حتى مقاهي سوط البلد ، فإن الجنازة ما زالت قائمة تتحدث عن الظلاميين الأغبياء الذين تخصصوا في قتل

فرج فودة واغتيال نجيب محفوظ وضرب مكرم محمد أحمد وتهديد عبده كفتة ، ومطاردة زكى جمعة ....
الظلاميون أو العسس الجدد كما سمتهم إحداهن لا يزرعون شجرة ولا يرعون يتيماً ولا يخففون عن مريض ولا يهتمون بالقضايا الكبرى التي تشغل الناس ، مثل الحجاب والنقاب واللحى والإسدال والخمار والختان وتعدد الزوجات وتحديد النسل ومنع الطلاق والشقة من حق الزوجة والمعاش كمان ، والمساواة في الميراث والاعتراف بأبناء الزنا ونسبتهم إلى أمهاتهم الفاضلات ، وشيوخ الفضائيات وفتاوى المفكر المستنير عن التدخين في رمضان ومشاهدة الأفلام الإباحية بعد السحور ، وجواز القبل بين الشباب وعدم وجود ثوابت في الشريعة والعقيدة ، وكل شيء فيهما قابل للتطوير والتغيير والمرأة رئيسة جمهورية وسائقة دبابة وقائدة فرقة عسكرية و ... و ... من القضايا الكبرى التي تشغل بال المستنيرين التقدميين الذين يلاحقهم العسس الظلاميون بالقضايا والتهديدات والاغتيالات .. يا حرام !
ولا شك أن رجلاً مثل الشيخ يوسف البدرى لا يحق له أن يشكو أو يتذمر ، حين يشتمه الأشاوس المستنيرون ، والنشامى التقدميون ، فمثل هذا الرجل من " المشايخ " أصولى ظلامي لا يحق له أن يشارك في الحياة العامة أو يدلى برأي ويستحق الشتم والسب آناء الليل وأطراف النهار ، فالسب والشتم من قبل المستنيرين التقدميين يعدّ شرفاً كبيراً لا يجوز أن يجحده الشيخ أو غيره ، وعلى أمثاله أن يقبلوا به ويحمدوا الله الذي يغضبون من أجله ، أن هناك من يشتمهم من أهل الاستنارة والتقدم ، فإذا بدا له أن يذهب إلى القضاء فالتشهير به من ألزم الضرورات في المجلات والصحف وأجهزة الإعلام التي يملكها الشعب ويهيمنون عليها وحدهم دون سواهم ، وهو بالطبع لا يقدر أن يحمل نبوتاً ويشق به رأس شاتميه ولاعنيه ، فقد بلغ من العمر مبلغ الشيخوخة والشعر الأبيض غير القابل للصبغة !
أهل الاستنارة والتقدم يعتقدون أن البلد بلدهم ، مثل الأنبا إياه الذي قال نحن أصحاب البلد ، ولم يحاسبه أحد ولأن الأمر كذلك ، فهم مؤمنون أن " الميديا " لهم ، والميزانيات كلها لهم والإعلام والثقافة والمجالس العليا والسفلى والأحزاب والهيئات الثقافية العامة والخاصة كلها لهم ..
لا يجرؤ أحد أن ينشر مقالاً أو كتابا أو حتى خبراً عن كتاب في صحيفة أو مجلة أو دار نشر حكومية تسيطر عليها السلطة أو يملكها رجال القروض ، لأنها محظورة على غير التقدميين والمستنيرين ،باستثناء من تحوّلوا إلى الماسونية والليبرالية النازية والذين تأمركوا فهم يعدّون شركاء لهم . أما أغلبية الشعب البائس فلا يحق له ولا لمن يمثلونه من الظلاميين الأصوليين المتخلفين أن يشاركوا في هذه الميديا ولو بسطر واحد ، أو كلمة واحدة ، لأنهم محظورون ممنوعون مرفوضون ، حتى لو كانت هذه الميديا بأموالهم وضرائبهم وعرقهم وجهدهم .
هكذا يكون التسامح المستنير.. وحين تقوم السلطة بمصادرة الصحف والمجلات ودور النشر والمكتبات التي يملكها هؤلاء الظلاميون الرجعيون بعرقهم وجهدهم ، فلا يجوز أن يشيروا إلى ذلك أو يستنكروا أو يتحدثوا عن حرية الرأي والفكر والتسامح واحترام الآخر وذكر الآخر ..

في ذات يوم من عام ١٩٦٥م كتب لويس عوض ، عراب الشيوعيين وأبوهم الروحي ؛ صفحتين كاملتين في الأهرام الغراء ضد مجلات وزارة الثقافة والإرشاد القومي آنئذ ، ورفع سلاح التوزيع – وكان يومها أضعاف أضعاف توزيع المحروسة إبداع ، وأصدر الوزير المختص في استجابة سريعة للعراب وحوارييه الشيوعيين الذين كانوا يسمون يومها بالاشتراكيين خمس مجلات ثقافية مرة واحدة بجرة قلم (الرسالة – الثقافة – القصة – الشعر - الفكر المعاصر) ويومها لم تحدث جنازة حارة ولا باردة و، لم يلطم أحد الخدود أو يشق الجيوب ويضرب الصدور أو يدعو بدعوى الجاهلية ! .. بل مضى الأمر عاديا حتى جاءت النكسة أوالهزيمة !
الأمر الآن في ذمة الأقلية المستنيرة التقدمية التي تكتب وتنشر وتسب الله والإسلام وتزيف التاريخ وتفتى بغير علم وتطالب بإلغاء الشريعة والعقيدة ، وتنقية مناهج التعليم وبرامج الإعلام من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وحذف التربية الدينية الإسلامية والإبقاء على الماسونية والبهائية ، وإلغاء المادة الثانية من الدستور وتحريم البرلمان والشورى والوظائف العليا والمناصب السيادية والجامعة والقضاء والكليات العسكرية والشرطة على الظلاميين والأصوليين وأبنائهم وفروعهم حتى الحفيد التاسع عشر ..
لا أدرى هل أضحك أم أبكى ؟ أقول لنفسي أحياناً : لماذا عشت في هذا الزمان الذي رأيت فيه هزيمة بلادي الداخلية ، ورأيت المعايير تنقلب رأساً على عقب بسبب " شلة " من أصحاب المصالح والمنافع والسهرات الزرقاء ؟ أيها الماسون هنالك شيء غلط في عالمكم البشع ، ومعذرة للشيوعي بريخت .

***

كتّاب البلاط .. وثقافة الخنزرة !

الرابط الذي يجمع كتاب البلاط أو مثقفي السلطة ؛ رابط واحد اسمه " هجاء الإسلام " وإقصاؤه ، وإلغاؤه ، دون نظر للشعور العام أو الحس القومي .
قبل أيام كان أحد النواب الإسلاميين في مجلس الشعب يطرح طلب إحاطة ، يسأل فيه الوزير المختص عن حقيقة ما يقال عن افتتاح قسم لما يسمى الرقص الشرقي في أكاديمية الفنون التابعة للدولة وخزينتها العمومية ؛ على أساس أن من يقبل في هذا القسم طالبات الثانوية العامة ، ضمن التنسيق العام للقبول بالجامعات المصرية الحكومية !
انتفض مثقفو النظام البوليسي الفاشي ، وصنعوا من طلب الإحاطة مناسبة إعلامية وصحفية لمحاكمة الإسلام ودعاته ، في بلد أكثريته الساحقة (٩٩%) من المسلمين الذين يؤمنون بالإسلام عقيدة أو ثقافة ..
بدأ المحاكمة صحفي حكومي في مجلته الأسبوعية ، ونشر على الغلاف صورة لراقصة بطن شبه عارية ، وبجوارها عنوان يسخر من الإسلام وتشريعات . يقول : " الرقص الشرعي ! " ، وخصص المذكور صفحات كثيرة في العدد للحديث عن " هز الوسط " وأفضاله على مصر الإسلامية ، حيث رفع رأسها عاليا في الخافقين ،وصار علامة مميزة لحضارة رقص البطن ، وتراثها الغالي ، وراح يستفتي العوالم والغوازي ؛ بوصفهن خبيرات في هذا التراث الخالد الذي أبدعته دولة " الهشك بيشك " ، وتركته للأجيال المصرية تستضيء بنوره الوضاح ! وتباهي به أمم الأرض جميعا .
كان من ضمن المستفتين السيد رئيس الرقابة على المصنفات الفنية ، وهو أيضا رئيس ما يسمى المجلس الأعلى للثقافة ! وقال سيادته ما معناه : إن الرقص حلال حلال حلال ! ومع أن المذكور شيوعي سابق ؛ يخدم في بلاط النظام البوليسي الفاشي ؛ وينفذ سياسته الثقافية بحذافيرها ، فقد قرر أن الرقص يستحق الصبغة الشرعية ، وليمت علماء الدين الإسلامي بغيظهم وفقههم ومفاهيمهم !
بعد يومين ؛ ظهر على إحدى قنوات رجال القروض ، مذيع ومذيعة يسألان النائب الإسلامي الذي قدم طلب الإحاطة عن مضمون الطلب وأهميته ،وقبل ذلك سخرا من الطلب وصاحبه ، وعدّا المسألة من "التفاريح " في جوّ الكوارث التي أصابت البلد ، والنظام يتخبط ويترنح ؛ فشلا وإخفاقا في مواجهتها ،ومعالجة آثارها ، مثل أنفلونزا الطيور ، وأنفلونزا الخنازير ، ومآسي سرقة الأطفال ، والاغتصاب ، وصعوبة المعيشة ، و ...
ما كاد النائب الإسلامي يبدأ كلامه بالإشارة إلى المادة الثانية من الدستور ؛ حتى ظهر الامتعاض والاشمئزاز على وجه " المذيعين " ، وأخذا يسفهان الرجل ، ويخاطبانه بلغة التقريع بمعنى لا داعي للكلام عن هذه المادة السخيفة ، وادخل في الموضوع مباشرة ، ونحو ذلك ، والنائب المسكين يحاول استجداء الكلام دون جدوى ، كلما نطق جملة أو نصف جملة ، قاطعه المحظوظان ، وأخيرا أوقفاه تماما ، لأن واحدة من العوالم أو الغوازي على الخط ، تريد أن تشرح وجهة نظرها ورأيها في

المسألة " التفاريحية " ، وانطلقت الست الهانم الشريفة العفيفة تعلن عن اشمئناطها وغضبها من هذا الشخص الذي يعيش في عصر ما وراء التاريخ ، ويتكلم في موضوع لا يجوز لأمثاله أن يتكلم فيه ، لأنه فن راق تباهي به مصر الدول و الأمم والحضارات !

فهمنا من المذيع المستنير أن الست العالمة ستعين أستاذا بقسم الرقص الشرقي بالأكاديمية ، وقد أبدعت الهانم في المقارنة بين رقص الباليه ، والرقص الشرقي ، وتحدثت عن الدراسات الحرة التي ستتم في الأكاديمية تحت الإشراف الرسمي الذي يجعل الراقصة غير أميّة ، فلا تقع في مآزق عند توقيع عقود هز الوسط مع الكباريهات والفنادق والصالات وما أشبه !

انهزم النائب الإسلامي أمام الست العالمة . وهلل المذيعان لهذه الهزيمة الساحقة أمام هز الوسط الذي يعد متنفسا أو تنفيسا عن الكبت والأحوال الصعبة التي يعيشها المصريون الغلابة ، وطبعا فلا شيء يعني المذيعين المحترمين من كون هذا الرقص سيتم الإنفاق عليه من دم الغلابة والفقراء ، كما لا يعنيهما أن يبحثا عن متنفس حقيقي للمصريين التعساء ، وأيضا فإن المذيع الطيب ابن الناس ؛ لم يسأل نفسه ، لماذا يتفرج المصريون على الراقصة ولا يقبلونها زوجة . ولم يسأل نفسه : هل يرضى أن تكون إحدى قريباته راقصة تتعرى وتهز وسطها ، وتجمع النقوط ، وتعمل في الكباريهات حتى قرب الفجر ، وتعود إلى البيت ورائحة الخمر والسهر واللهو عالقة بملابسها ؟

هناك من يفاخر بالراقصات ، ويؤكد أن هناك من يشرف أن تكون أمه فلانة أو علانة من أهل الرقص وهز الوسط ، ونحن من جانبنا نقدم له التهنئة ، ونبارك له ،ولكننا نؤكد له من ناحية أخرى أن هناك أغلبية ساحقة ترفض أن تكون أمهاتهم من خبيرات هز الوسط.. حتى لو كانت هناك ازدواجية بين الفرجة على العوالم ورفضهن اجتماعيا !

هناك شيء يسميه المصريون – بلاش الإسلام والأخلاق – الغيرة . حيث يغار الرجل ، زوجا وابنا وأخا وخالا وجدا وقريبا ونسيبا ، على المرأة قريبته ، ولا يريد أن يراها نهبا للعيون ، ومجالا تركض فيه خطط الشهوة ودروبها المظلمة ؟

إن الذي لا يعرف الغيرة يسميه المصريون خنزيرا ، لأن السيد الخنزير لا يغار على أنثاه ، ويقولون إنه لحمه حرام بسبب عدم الغيرة . هكذا يفسرون التحريم الشرعي لأكل الخنزير الذي سلكته الآيات القرآنية مع الميتة والموقوذة والمتردية والنطيحة .

ولكن يبدو أن إعلام المستنيرين (التابع للسلطة ورجال القروض) يريد أن ينشر ثقافة " الخنزرة" ، أي عدم الغيرة ، أي رفض الأخلاق والقيم التي يحثنا عليها الإسلام ، والفطرة ، والشعر منذ مئات السنين ، حتى عصر شوقي صاحب المقولة الشهيرة " إنما الأمم الأخلاق .. " .

وللإنصاف فثقافة الخنزرة لم تبدأ اليوم ، ولكنها بدأت منذ زمان بعيد من أيام " بمبة كشر" ، و"بديعة مصابني ، و" سميرة العمشة " ، فقد صورتهن السينما والتلفزة والصحافة بطلات قوميات ، حاربن الاستعمار الانجليزي ،والاستبداد الوطني ،وحققن الاستقلال ، وصنعن الثورة ، وكافحن الهزائم ، وقمن ببطولات في عمق

العدو ، ناهيك عن كفاحهن المرير في سبيل إثبات وجودهن وسط الظروف الصعبة اللاتي مررن بها شقاء وعذابا وألما في البيوت والقصور والمقابر ، وعلى يد الفتوات ؛ حماة الصالات والأفراح والمناسبات ؛ حتى صرن علامات فارقة في تاريخ مصر المحروسة ، ورفعن رأسها عاليا بين الأمم ؛ كما أشار سيادة الصحفي الحكومي في مجلته الأسبوعية بموضوعه عن الرقص " الشرعي " !

" ثقافة الخنزرة " ليست مرتبطة بعالمة أو غازية تكسب بعرق جسمها أمام العيون النهمة ، وقد تكون ظروف ما قد أوقعتها في هذه المحنة ، ولكنها سياق عام يجعل الكاتب أو المثقف أو المسئول أو المصري بعامة ، يُسقط من حساباته المعايير الخلقية ،والشرعية ، والقانونية ، والاجتماعية ، في سبيل منفعة رخيصة أو مصلحة زائلة ،ويسخر ممن يذكرونه بهذه المعايير ، ويمتعض لأن نائبا يحدثه عن " المادة الثانية من الدستور " !

الرقص الشرقي سُبّة في جبين مصر والإنسانية ، وإهانة للمرأة المصرية المكافحة الصلبة التي تغالب عذابات الواقع غير الخلقي بشجاعة ورضا ، ولا يسعدها أبدا أن تفخر بالأموال التي تقف فوقها " راقصة " وتري من خلالها زيمبابوي !

***

الخائن يعقوب .. والإرهاب الطائفي !

أعادت هيئة قصور الثقافة نشر كتاب " المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة " للدكتور أحمد حسين الصاوي – رحمه الله – ضمن إحدى السلاسل التي تعيد تقديم الكتب التي ظهرت في القرن الماضي ، ولم تعد متوفرة في المكتبات .
وما كاد الكتاب يظهر في السوق ، حتى هاج المتمردون الطائفيون في الكنيسة الأرثوذكسية وماجوا ، وراح محامى التمرد الطائفي يهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور ، لأن الهيئة الناشرة للكتاب أساءت للمسيحية وازدرت الدين المسيحي ، واستخدمت أموال دافع الضرائب المسيحي في الإساءة إليه ، وتوعّد برفع الأمر إلى القضاء ..
المسئول عن الهيئة الناشرة ، وقع في حيص بيص ، وركبه الرعب من فوقه ومن تحته ، واصدر تصريحات تبدى الندم ، وتسترضى القوم ، لدرجة أن قال : " حقكم علىّ " ، وكأن الكتاب العلمي الذي يحمل آراء علمية موثّقة ومؤكدة ، يفرض الاعتذار والتوبة وطلب الغفران ، وكأن حرّية الفكر والتعبير حين تقترب من الخيانة الطائفية تمثل إثماً لا يجوز التسامح معه ولا القبول بوجوده . وكأن تقديم التاريخ الحقيقي للأجيال الجديدة هرطقة وكفر وإلحاد ، ثم وهو الأخطر يوجب اتهام الهيئة الناشرة بأنها مخترقة من قبل المتطرفين الإرهابيّين (أي المسلمين وفقاً للتسميات الخيانية الطائفية) !!
وللأسف ، فإن الشيوعيين والعلمانيين والماسون الذين يملأون الأرض ضجيجاً حين يعترض أحد على إهانة الدين الإسلامي أو سبّ الذات الإلهية أو تجريح النبي - صلى الله عليه وسلم – والصحابة ؛ رضوان الله عليهم ، في بلد أغلبيته الساحقة مسلمون ، ودستوره الإسلام ؛ سكتوا ؛ ولم ينبسوا بكلمة ، ومن فتح الله عليه بالإشارة إلى الموضوع ، فإنه راح يسترضى الخونة الطائفيين من قادة التمرّد الطائفي ، ويستعطفهم ، ويُميّع المسألة قائلاً : إن الخيانة موجودة على الجانبين : المسلم والطائفي !
المتمردون الطائفيون في غمرة استقوائهم بالعدوّ الاستعماري الصليبي الصهيوني ، سبق لهم أن مارسوا جريمتهم ضد الإسلام بالمطالبة بإلغاء المادة الثانية في الدستور المصري ، وإلغاء الآيات القرآنية الكريمة فى المناهج والمقررات الدراسية بحجة أنها تزدرى بالنصرانية ، وأقاموا دعاوى ضد بعض أساتذة الجامعات الذين تناولوا في سياق مقارنة الأديان طبيعة النصرانية ، مما ترتب عليه إيقاف بعضهم وتقديمه إلى مجالس تأديب من جانب مسئولين مذعورين يحركهم الرعب من المتمردين الطائفيين ونفوذهم الذي فاق كلّ حدّ ، ونسى القوم أن الجامعة بحث وفكر ورأى وحرّية ، ولكنهم لا يتذكّرون ذلك إلا عندما يتعلق الأمر بإهانة الإسلام والمقدسات !
الإرهاب الفكري الذي يمارسه المتمردون الطائفيون يلقى ترحيباً من الأقلام التي لا تعرف الوضوء ، ويجد تسويغاً من " صحف الكنيسة " و " صبيانها " الذين يحملون أسماء إسلامية . وصحف الكنيسة يملكها متمردون طائفيون أو يسهمون بنصيب كبير في تمويلها ، وهى يومية وأسبوعية ، وتقف ضد الإسلام علناً ، ودون مواربة ،

وللمفارقة العجيبة تستكتب شيوعيين وعلمانيين وملاحدة وماسو نيين تحت مسمى " مفكر إسلامي ! " أو " مفكر إسلامي مستنير ! " ، من عينة المفكر الإسلامي المستنير الذي يبيح التدخين ومشاهدة الأفلام الجنسية في نهار رمضان ، والقُبل بين الشباب ،وجواز القصر بين الظهر والعصر قبل النوم ، وأن الإسلام دين وليس دولة .... وفى الوقت ذاته ، تصادر آراء الكتاب الإسلاميين الحقيقيين ، بل تمنعهم تماماً من الكتابة فيها ، مفسحة المجال لصبيان الكنيسة كي يصولوا ويجولوا مدحاً في قادة التمرد وتبييضا لصفحاتهم السوداء ، وعرضا لأكاذيبهم في التاريخ والجغرافيا ..

ووصل الأمر إلى صحف بعض الأحزاب " الورقية " حيث تحوّلت بفعل المال الطائفي إلى أصوات ناطقة باسم التمرد الطائفي والتعبير عن أجندته الشيطانية في تمزيق الوطن وإقصاء الإسلام وتزوير التاريخ .

إن المتمردين الطائفيين ، يجدون مجالا رحبا في صحف حكومية ينفق عليها المواطن المصري المسلم ، فينفثون سمومهم الانفصالية ، وأكاذيبهم الفكرية ، ويجدون في الوقت نفسه دعماً من بعض الأقلام النجسة التي دأبت على إهانة الإسلام وتشويهه وإلصاق التهم الكاذبة به لحساب جهات مريبة !

وفى الوقت الذي لا توجد فيه صحيفة ورقية تنطق باسم الإسلام ، ولا يسمح فيه النظام البوليسي الفاشي أو ما يسمى المجلس الأعلى للصحافة بإصدار صحيفة إسلامية بعيداً عن " الإسلام الأمريكاني " ، يتحرك المتمردون الطائفيون لتنفيذ أجندتهم الانفصالية التخريبية بكل ثقة وأمان وهدوء !

ولا ريب أن إرهاب الطائفيين للهيئة الثقافية الناشرة لكتاب " المعلم يعقوب " ـ أو الخائن يعقوب ، يمثّل حلقة من حلقات الأجندة الانفصالية التخريبية القائمة على الاستقواء بالعدوّ الاستعماري الصليبي الصهيوني ، ويشير في الوقت نفسه ، إلى انبطاح السلطة البوليسية المستبدة أمام هذا الإرهاب الطائفي والاستسلام إزاءه ، مما ينذر بكارثة لا يعلم طبيعتها ونتائجها إلا الله .

ثم إن سحب الكتاب من السوق بعد طبعه ، والاعتذار عن نشره على لسان المسئول الأول عن الهيئة ، سابقة خطيرة ، تجعل كل كاتب يتحسس قلمه وحروفه قبل أن يكتب كلمة ، وخاصة إذا كانت تتعلق بتاريخ مصر .. فقد أقام المتطرفون الطائفيون الدنيا ولم يقعدوها حول رواية " عزازيل " التي ألفها صديق لهم ، ولحسن الحظ ، فقد فازت الرواية بجائزة دولية مشهورة ، ولم يستطيعوا إرغام الناشر على سحبها من السوق ، وكانت حملتهم عليها سبباً في الترويج لها وطبعها مرات عديدة .

واليوم ، يمارسون الإرهاب الطائفي ضد كتاب المعلم يعقوب ، كما مارسوه من قل ضد كتب أخرى بل ضد القرآن الكريم نفسه ، وهو ما يفرض مواجهة هذا الإرهاب الطائفي وتصفيته بعد كشفه وتفكيكه ، وأعتقد أن " الخائن يعقوب " يحتاج أن نقدمه للناس ليروا كيف يتحول الاستسلام للإرهاب الطائفي إلى جريمة تدفع بالخونة إلى مقاتلة الوطن وأهله ، والانضمام إلى الغزاة القتلة الذين جاءوا لإخضاع البلاد بالدم والبارود والدمار ، واصطفاء الخونة الأشرار ليقفوا في صفهم ويأتمروا بأمرهم ، ويذهبوا مذهبهم .

إن يعقوب الخائن نموذج يتكرر الآن ويعيش بيننا ، ويجد تغاضياً وصمتاً ومداراة بسبب حسابات خاطئة ، وهو ما ينبغي كشفه وفضحه وتعريته حتى يسلم الوطن والإسلام جميعاً .

***

المادة الثانية .. وتزغيط البط ؟!

في عام ١٩٦٥ م ، كانت السلطة الناصرية العسكرية تعلق الشهيد "سيد قطب" وآخرين على حبل المشنقة ؛ بعد إغلاق خمس مجلات ثقافية تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي بجرة قلم واحدة ، وكانت الحجة الظاهرة أنها قليلة التوزيع (وهي حجة داحضة!) ، أما الحجة الخفية فإنها مجلات رجعية محافظة ، أي إسلامية وليست شيوعية ، ولما كان كل ما يشير إلى الإسلام يسمى رجعيا ومتخلفا ومواليا للصهيونية ، فقد كان إغلاق المجلات الثقافية أمرا عاديا وكذلك إعدام سيد قطب وآخرين ، لم يحتج أحد ولم يغضب أحد من أجل حرية الفكر أو الإبداع أو الاعتقاد ، ولكن الأمر الغريب هو الشماتة الرخيصة التي أظهرها " لويس عوض" عرّاب الشيوعيين وأبوهم الروحي حيث كتب في الأهرام يومها : لقد ذهبت غمة الصيف ! يقصد إعدام الشهيد وزميليه ، وإغلاق المجلات الثقافية ..
في ذلك الحين كان الشيوعيون قد خرجوا من معتقلات عبد الناصر بعد زيارة خرشوف لمصر ، وتولوا أمر الصحف والإذاعة والتليفزيون ، لدرجة أن بعضهم وكان "اسكافيا" لا شأن له بالصحافة صار بفضل الشيوعية كاتبا كبيرا !
وأبلى الشيوعيون بلاءً غير حسن في التشهير بالإسلام الرجعي والإخوان المسلمين الرجعيين ، وكان واحد منهم يتولى مجلة "المصور" فنشر صورا لسيد قطب – رحمه الله - على أربع صفحات متقابلة وهو حليق الرأس حافيا ، يرتدي ملابس السجن ، وكانت العناوين تتحدث عن "إخوان الشياطين" و"الإرهابيين" و"الخونة" ! وشاءت إرادة الله أن يموت هذا الشيوعي الشامت ميتة بشعة ، داخل مطبعة إحدى الصحف في بيروت التي ذهب إليها بعد مجيء السادات ، وكانت الحرب الأهلية اللبنانية على أشدها ، وقد أصابت القذائف المطبعة فانصهر جسد الشيوعي مع الرصاص المصهور ، واللهم لا شماتة !
ولأن الشيوعيين يمثلون مع أشباههم من اليساريين والعلمانيين والماسونيين والمرتزقة – أقلية ضئيلة في مصر المسلمة التي يدين ٩٩ % منها بالإسلام عقيدة وحضارة ، ويريدون فرض آرائهم وتصوراتهم على المسلمين ، فهم لا يصدقون أن القضاء المصري الشامخ حكم بمصادرة المطبوعة الحكومية الرديئة الهابطة التي يحتكرون تحريرها ، وينشرون فيها بذاءات ضد الله والإسلام والمسلمين ، ويطالبون في وقاحة غريبة وجرأة فجة ، بإلغاء المادة الثانية من الدستور ، أي دين الدولة الرسمي ، لأنها سبب كل بلاء من منظورهم الشيوعي الإجرامي ويرون أن القاضي حكم بإلغاء الترخيص للمطبوعة الرديئة الهابطة على أساس هذه المادة !
ويرى الشيوعيون الإرهابيون أن العقود الثلاثة الأخيرة كشفت أن القضاء اخترقته سهام سلفية كثيرة ، أثرت على نزاهته واستقلاله ، والسبب في ذلك – كما يرون – هو المناخ الظلامي (يقصدون الإسلامي) الذي ساد منذ العقود الثلاثة الماضية ، ووقوف القضاء في تلك العقود الثلاثة على "المرجعية" نفسها التي يقف عليها شيوخ الحسبة ، وهي المرجعية التي توفرها المادة الثانية من الدستور وقانون الحسبة

والقوانين التي تكبل المواد الداعمة للحريات ، وتفرغها من محتواها الحقيقي ، وهكذا صار القضاء "سلاحا" في يد السلفية الدينية المتزمتة ! (الحياة – لندن – ٢٠٠٩/٤/١٦م) .
الرؤية الشيوعية الإرهابية ترى إلغاء الإسلام كي تتحقق الحرية ، ويتاح للشيوعيين إهانة الذات الإلهية وسب المسلمين وتحقيرهم ، ووصف الإسلام بالظلام والمسلمين بالظلاميين ، في كلامهم الركيك الذي يسمونه شعرا ، ومقالاتهم السخيفة التي يسمونها فكرا ، وسردهم الفاحش الذي يسمونه إبداعا .. وأصبحت الوصفة الناجحة للنشر في مجلات الدولة وصحفها التي يحتكرها الشيوعيون وأشباههم أن تكتب كلاما إباحياً ، أو تسب الذات الإلهية ، أو تلعن الإسلام بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (عن طريق سب الجماعات الإسلامية وفي مقدمتها الإخوان المسلمون) ، فضلا عن ذكر الأصولية والظلامية والرجعية والتعصب والسلفية الدينية وكراهية الآخر .. وما شاكل ذلك .
نفذ هذه الوصفة ولا بأس أن تمزجها بتزغيط البط ، وعسكري المرور ، وحمار الكارو ، وبائعة الجرجير ، وليالي الهرم . ! تجد موضوعك منشورا في حفاوة بالغة .
إن النغمة التي يروج لها كتاب "تزغيط البط" أن الذي يجب أن يحكم على الأعمال الأدبية هم النقاد والشعراء بوصفهم متخصصين في فهم الفن الأدبي ، وهذا حق أريد به باطل ، لأن الأديب أو الشاعر يتوجه إلى القارئ الذي يملك حدا معقولا من الثقافة ، فإذا استعصى عمله الأدبي على الفهم ، أو أعطى دلالة صادمة ، فان الخلل في الأديب أو الشاعر .. ومهمة الناقد هي القراءة التي تكشف مالا يكشفه القارئ العادي ، ويؤسس تفسيرات تضيء ما يفهمه القارئ العادي بصورة أوضح ..
قال رئيس تحرير المطبوعة الرديئة الهابطة عن كتابة تزغيط البط أن فيها مباشرة واستسهالا يسمحان للقراءة الدينية (المتزمتة !) أن ترى فيها شططا . وكتب نائبه أن إدارة المطبوعة نشرت الكلام لأن صاحبه معروف ومسئول عنه ، ولأن فيه ركاكة فنية فضحت تجاوزه الديني فلم يستطع تغطية ذلك التجاوز بالفنيات الجمالية التي تجعلنا نستسيغ التجاوز !
هذا كلام اثنين ينسبان إلى الشعر والنقد ، وكلامهما واضح وصريح ، و يؤكد أن هناك تجاوزا وشططا ، وما فهمته المحكمة هو ما فهمه مسئولا المجلة ، والقراء العاديون في كل مكان على ظهر الأرض ، فهل نحذف المادة الثانية من الدستور من أجل عيون صاحب الكلام الذي فيه تجاوز وشطط باعتراف شيعته ؟
ومهما يكن من أمر ، فان الوضع الثقافي الفاسد يجب تغييره ، فمن المعيب أن يكون ٩٩% من سكان مصر مسلمون بالعقيدة والحضارة وتتحكم فيهم أقلية ناشزة فاسدة ، استخدمتها السلطة البوليسية الفاشية ، لاستئصال الإسلام وتغييبه ، وإحلال ثقافة غريبة بعيدة عن روح الشعب وهويته مكانه !
لقد تسلطوا على الثقافة والإعلام والتعليم ، وحرموا كل صوت إسلامي حقيقي من مخاطبة الناس ، وروجوا للأصوات الإسلامية الزائفة التي تشكك في السنة النبوية أو تفتي بغير علم بإباحة التدخين في رمضان ومشاهدة الأفلام الجنسية في نهار

رمضان ، وإباحة القبل بين الشبان والفتيات ، ومساواة الذكر والأنثى في الميراث ، وإلغاء الحدود ، وإلغاء الحج في مواعيده وإلغاء الثوابت وتعديل العبادات والترويج للفتاوى البائسة عن البول والرضاع وغير ذلك ..

إنني لا أستطيع ولا يحق لي أن أطالب بنشر كلمة في جريدة "توتو" أو مجلة " أدب ونقد " لأنها ملك الشيوعيين وحزبهم الحكومي المدعوم من السلطة ، ولا يحق للشيوعيين أن يمنعوني نشر كلمة في جريدة أو مجلة أو مؤسسة يملكها الشعب المصري الكادح ، ويغطي خسائرها من عرقه ودمه .. بيد أن الواقع يؤكد أن السادة الشيوعيين وأشباههم يتحكمون في النشر الخاص والعام جميعا ، ويمنعون غير الموالين لهم من النشر ، وبعدئذ يتبجحون بالكلام عن حرية الرأي والفكر والعقيدة ، ويطالبون بحذف المادة الثانية من الدستور وإلغاء الحسبة – حسبنا الله ونعم الوكيل .

***

فضيلة الجنرال.. وحضرة الفنان!

فاجأنا للمرة الثانية أو الثالثة فضيلة الجنرال بمطالبة جماهير المسلمين أن يزوروا مدينة القدس المحتلة بتأشيرات من الكيان النازي اليهودي الغاصب ، وحجة فضيلته أن الزيارة ستبقي قضية القدس حية ، وتمنع عنها التهويد ، وتزيل الاحتلال !

أما حضرة الفنان ؛ فقد أتي بموسيقار صهيوني من أصل أرجنتيني أسمة " برينباوم " ، ويقال إنه يحمل جنسيات عديدة من بينها الفلسطينية ، وهي جنسية شرفية (؟) ، ويدعو إلى السلام(؟) وأنه صديق الكاتب والأكاديمي الراحل " إدوار سعيد " ، وهو أميركي من أصل فلسطيني مصري ، وكان يتبنى لغة غربية في خطابه مع الصهاينة تؤمن بحقهم في الوجود داخل فلسطين ،وترفض عمليات المقاومة ، وتدعو إلى التفاوض ،والكفاح الكلامي !

فضيلة الجنرال يطلق معاونيه ، وفيهم بعض المعممين لإقناع المسلمين بزيارة القدس ،ولو بتأشيرة يهودية نازية ، ليتعرف الزوار على المخطط النازي اليهودي الاستعماري لهدم المسجد الأقصى وتهويد القدس ،ويستشهد على ذلك بذهاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وصحبه الأطهار إلى مكة للاعتمار ، مع أن قريشا منعتهم ، وإن كانت وقعت معهم صلح الحديبية !

طبعا الاستشهاد في غير محلة ، والمقارنة غير واردة لاختلاف الزمان والمكان والظروف ، ويدرك ذلك من له أدني عقل ، والفكرة في أساسها غير إسلامية ، فما معنى أن تذهب بتأشيرة صهيونية – تعني اعترافا بالوجود النازي اليهودي الغاصب – وتدفع مقابل هذه التأشيرة رسوما تدخل خزانة العدو ، وتدعم الاقتصاد النازي اليهودي بالإقامة والسكن والمواصلات والشراء وغير ذلك ، والنتيجة في كل الأحوال صفر كبير ؟

الفكرة غير إسلامية وغير صائبة ، لأنها لا تقدم ، بل تؤخر ، وتمثل رضوخا للأمر الواقع وقبولا به ، فضلا عن التعامل معه والوقوع في حبائله الشيطانية ، وخاصة إذا كان الزائر للقدس شابا مراهقا محدود التفكير ، يبحث عن المتعة أو العمل ، ثم من قال للجنرال إن اليهود الغزاة سيسمحون للزوار بالصلاة في المسجد الأقصى وهم يمنعون أهل القدس وفلسطين من الوصول إليه ويشاهدهم الناس على شاشات التلفزة وهم يتعرضون لأبشع الإهانات والرد على أعقابهم دون الدخول إلى ساحة المسجد المبارك ؟

والفكرة غير إسلامية لأن المطلوب من عالم إسلامي يجلس على كرسي الوزارة التي ترعى شئون الإسلام والدعوة ، أن يطالب بشيء اسمه الجهاد لتحرير القدس العتيقة من أيدي الغزاة النازيين اليهود القتلة ، مثلما حررها المسلمون السابقون منذ عهد عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وصلاح الدين الأيوبي والمظفر قطز والظاهر بيبرس ، وساندهم في جهادهم وحرضهم عليه علماء الإسلام ودعاته وأدباؤه من أمثال الإمام أحمد بن تيمية والعزبن عبد السلام والقاضي الفاضل والإمام البوصيري وغيرهم .

الجهاد بالمفهوم الإسلامي وعدم الخوف من العدو مهما أوتي من قوة ، وبناء القوة المتاحة ، وحرمان العدو من الاستقرار والاحتلال المريح ؛ أمور يجب أن يطالب بها علماء الدين الإسلامي ، وأن يصدروا الفتاوى على الملأ ليسمع القاصي والداني حكم الشرع في احتلال القدس العتيقة ، ومن ضمن هذه الفتاوى أن من يوالي الغزاة أو يقف في خندقهم ويدعو إلى التعامل الطبيعي معهم ، ويخزن سلاحه حتى يأكله الصدأ والتراب ، مخالف لدينه ، هارب من الميدان ، خائن لله ورسوله ، وينطبق عليه قول الله تعالى : " ... ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير " (الأنفال : ١٦)، ومن ضمن هذه الفتاوى أن المسلم الذي يظن أن ه ليس مسئولا عن القدس وتحريرها اعتقادا منه أن تحريرها يخص الفلسطينيين وحدهم مثله مثل مولى الأدبار يبوء بغضب الله ومأواه جهنم وبئس المصير .

واجب علماء الدين وخاصة من عينة فضيلة الجنرال أن يوجه خطباء المساجد ووعاظ الأوقاف إلى تعبئة الجمهور في خطب الجمعة والدروس الدينية لمساندة تحرير فلسطين جهادا ، بعد أن فشل تحريرها كلاما على مدى ستين عاما ، وبدلا من توجيه الخطباء لتحديد النسل وتحريم النقاب وتغيير الخطاب (أي الإسلام) وتأييد الحزب الوطني الديمقراطي الذي يحتكر السلع والأقوات وقروض البنوك والأراضي والمصانع والشركات ؛ فالأفضل توجيه الخطباء إلى التذكير بقضية القدس وتاريخها وما تطلبه من المسلمين دفاعا عنها وتحريرا لها وتطهيرا من رجس اليهود الغزاة القتلة بوصفها جزءا من الدين والعرض والممتلكات ، من مات دونها فهو شهيد ، ومن حررها فله ثواب المجاهدين الشرفاء !

وبالتأكيد فإن فضيلة الجنرال يعلم حكم الشرع هذا جيدا ، ولكنه يروج عن طريق أعوانه لفكرة غير إسلامية لأمر لا نعلمه جيدا ، وهو ما فعله لأمر نعلمه جيدا زميله في الوزارة الذي دعا السيد " برينباوم " ليعزف موسيقاه ، ويشنف أسماع المصريين المقهورين الأذلاء الذين أوجعهم أنين المصابين وصرخات الشهداء قبل الموت والطائرات الصهيونية تدك بيوتهم في غزة فوق رءوسهم بلا رحمة ولا ضمير !برينباوم صهيوني متغطرس وقح ونازي ، وخالف قانون الأوبرا ،وأصر على وضع كاميرا التلفزيون الألماني على المسرح لتصوير وجهه (الأغر ّ) مما دفع المسئول عن المسرح إلى الاستقالة ، والمتوقع أن يعدل عنها بالأمر المباشر حيث لا يسمح لأحد في بلادنا أن يستقيل بإرادته !ثم استطالت صهيونية برينباوم وغطرسته ووقاحته ونازيته بأمر الزعماء العرب أن يزوروا تل أبيب ! ويقول حضرة الفنان إن برينباوم موسيقي وليس سياسيا ، ولذا فالأمر ليس فيه تطبيع ولا يحزنون !

أضف إلى ما سبق أن حضرة الفنان أطلق رجاله وأغلبهم من اليسار المتأمرك للدفاع عن الصهيوني المتغطرس الوقح النازي الذي يفرض إرادته – وهو الضيف – على المضيف ، ويطلب من الزعماء العرب أن يزوروا الوطن المغتصب ؟ قولوا لنا إن لم يكن ذلك سياسة فما هي السياسة ؟ وإن لم يكن ذلك تطبيعا فما هو التطبيع ؟

نحن نعلم أن حضرة الفنان على استعداد أن يبيع مصر كلها من أجل المنصب الذي يحلم به ويسعى إليه ويبذل كرامة بلاده في سبيله ، ولكني أبشره أن اليهود الغزاة

القتلة سيأخذون منه كل ما يستطيعون ، وسيتركونه يجلس بجوار الحائط ليستمتع بتأييد أوغندا وزيمبابوي وشرم الشيخ !

والمشكلة أن رجال الوزير أو كتاب السلطة يرفعون في وجوهنا اسم " إدوار سعيد " ،وأنه تميمة تحمي " حضرة الفنان " ، ونحن المسلمين أصحاب القدس والقضية نعلم أن السيد " سعيد " مجرد أميركي يكره المقاومة الإسلامية ، ويؤمن بعدم جدوى المقاومة عموما ، ولا يكن للقدس العتيقة احتراما ، ولا يعبأ بعودة اللاجئين ، وكان مع الراحل " محمود درويش " الشاعر الشيوعي السابق والمدعو سري نسيبة والرفيق عبد ربه وبالضرورة العقيد دحلان ، يهيئون للختيار (ياسر عرفات) أن يوقع اتفاقا بدون القدس ، وبدون العودة ، وبدون القابلية للاستقلال ! بيد أن الختيار ذهب ، ولحقه إدوار ودرويش ، وبقيت المقاومة صامدة تتكسر على صخرتها الضربات والتواطؤات والخيانات !

وللأسف فإن فضيلة الجنرال ، وحضرة الفنان ، يفترضان أننا شعب عبيط أهبل ، يصدق كلامهما وكلام رجالهما الأشاوس والنشامي ، ولدينا قابلية السير على خطا الهوان والمذلة والتفريط . وهذا الفرض غير صحيح بدليل أن هناك من جهر برفض الدعوة والادعاء واستنكرهما وندد بهما ، فالشعب الفلسطيني لا يموت ،والشعب المصري النائم سيستيقظ ذات يوم ، ليقوم بواجبه كعادته التاريخية دائما ويجاهد في الميدان ويحرر القدس العتيقة بإذن الله.

***

حرية إهانة الإسلام !

قبل مدة أصدرت مجموعة ممن احتكروا تسمية أنفسهم بالمثقفين العرب بياناً وقعوا عليه بمناسبة مرور ستين عاماً على صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان .. كما وقع على البيان ثلاث وثلاثون منظمة عربية وحقوقية ، في ورشة عمل باسم : الدين وحرية التعبير في العالم العربي ، انعقدت بالعاصمة الفرنسية باريس أوائل ديسمبر ٢٠٠٨م.

انتقد البيان تفشى حالات القمع لحرية التعبير في البلاد العربية ، بسبب ما أسماه المحاكمة الدينية للرأي والتعبير والإبداع ، لدرجة وصفها البيان بـ " غير المسبوقة " في الفترات الأخيرة ، مشيراً إلى أنها طالت أسماء من كل المجالات في أغلب البلدان العربية .

وذكرت جريدة " المصري اليوم : ٢٠٠٨/١٢/٥م " ، أن الموقعين على البيان ، طالبوا المؤسسات والتيارات الدينية والرسمية وغير الرسمية في البلاد العربية ، بتنحية المنظور الديني في النظر إلى التعبير الفكري والأكاديمي والأدبي والفني ، لأن الوصاية باسم الدين على حرية الفكر والأدب تسيء إلى الحرية والدين معاً ، وتقمع اجتهاد المفكرين وتكبح خيال المبدعين ، وتعطل طاقات الأمة الساعية إلى التقدم .

أبرز الذين وقعوا على البيان من الأدباء الطائفيين الشعوبيين ، أو الشيوعيين المرتزقة ، أو الماسون المتصهينين . أما المنظمات الحقوقية فهي مدعومة من الغرب الاستعماري ماليا ومعنويا كما هو معلوم بالضرورة ، ويلاحظ أن مكان " الورشة " هو باريس عاصمة فرنسا الاستعمارية منطلق الحروب الصليبية ضد الإسلام قديماً وحديثاً .

يتحدث البيان عن المحاكمة الدينية للرأي والتعبير والإبداع ، والمؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية ، والمنظور الديني في الفكر والعلم والأدب والفن . بالطبع فإن البيان لا يقصد ديناً آخر غير الإسلام ، لسبب بسيط وهو أنه لا يستطيع الإشارة من قريب أو بعيد إلى أديان أخرى سماوية أو وضعية ، لأنه لو فعل فلن يكون للموقعين على البيان وجود أدبي أو معنوي ، فضلاً عن العقاب الذي يوقعه أصحاب هذه الديانات بمن يقترب من عقائدهم وتشريعاتهم ! وعلى سبيل المثال ، اسألوا عمن يشير إلى المحرقة اليهودية مجرد إشارة بالتساؤل ماذا يفعلون له ، وماذا يكون مصيره ؟

ثم إن البيان يتحدث عما يسميه المحاكمات الدينية ، وكان المتوقع أن يتناول المحاكمات البوليسية أو العسكرية التي لا تقبل نقضاً ولا إبراماً ، وهى محاكمات شائعة في العالم العربي وملموسة ، ويستشعرها الناس في كل مكان ، ويتضرر بسببها عشرات الأسر نتيجة غياب عائليهم أو ذويهم وراء القضبان ، ويفترض أن يهتز بسببها المثقفون ، وينتفضون ويغضبون ويثورون ، ويدعون الناس إلى الغضب والثورة ورفض هذه المحاكمات البوليسية أو العسكرية بكل السبل والوسائل . ولكن الإصرار على إدانة ما يُسمى " المحاكمات الدينية " التي لا وجود لها في حقيقة

الأمر إلا في خيال الموقعين على بيان باريس يجعل من الأمر لغزاً يحتاج إلى حلّ ، وإن كان هناك من لا يعده كذلك ، ويراه عدواناً رخيصاً على الحرية والإسلام جميعاً ! لأن القرآن الكريم أورد مقولات إبليس وفرعون وآخرين ضد الذات الإلهية والأنبياء والتوحيد والبعث في آيات يتعبّد بها المسلمون ، دون أن تحذف أو تخبأ ، أو يفرض عليها حظر ، ولكن هناك ردّ عليها وتفنيد لها ، ونسف لمنطقها المتهافت فأي ادعاء أثيم يدعيه أهل البيان العلمانيون الكارهون للإسلام ؟

إن القضايا التي حوكم بسببها بعض المنتسبين إلى عالم الكتابة ، لم تكن في المحاكم الدينية التي يخلو منها العالم العربي والإسلامي ولكنها كانت في محاكم عادية تحكم في الجنح والجنايات ، وأحكامها تجرى وفقاً لقانون وضعي ليس إسلامياً .. فالحديث عن المحاكم الدينية نوع من الادعاء والكذب والتحامل على الدين الإسلامي وحده ، لأن موقعي البيان – أكرر – لا يستطيعون الاقتراب من دين آخر ، وإلا كان عقابهم مثلاً يجوب البلدان !

إن الإسلام لا يعرف المؤسسات الدينية ولا التيارات الدينية . إنه يعرف المؤسسات أو التيارات الإسلامية العلمية والثقافية ، لا حصانة لها ، ولا كهنوت بها ، ولا عصمة لأحد فيها .هم علماء أو طلاب يبحثون عن الحقيقة ، ويخضعون لمنهج العلم الذي توارثوه وعرفوه ، وعملوا على الاجتهاد فيه وفق أسس منهجية وشروط توثيقية ، فلا صكوك حرمان ولا صكوك غفران في الإسلام .

واضح أن البيان يسعى لترهيب الرأي العام الإسلامي حتى لا يتصدى للمحاولات التي يمارسها العلمانيون من طائفيين وشيوعيين وماسون وأشباههم ، لتحويل بلادنا إلى ذيل تابع للغرب في صورته الرديئة المتخلفة ، وليس في صورته القوية الجسور .

إنهم يعملون على تجريد الإسلام من قيمه العليا ، ومثله الرفيعة ، وإحلال القيم الوثنية والمثل المتدنية ، وإقناع المسلمين بعدم صلاحية الإسلام للحياة ويروجون لما يسمونه التنوير بمفهومه الغربي الاستعماري المعادى للتوحيد والوحي في مقابل المفهوم الإسلامي الذي يسمونه بالظلام أو الظلامية ، ويجاهرون بأنهم في معركة يخوضونها ، ويجب أن ينتصروا فيها ، وينتصر التنوير ضد الظلام .

إنهم يعتدون على ثوابت الإسلام ومقدساته ، ويزعمون أن ذلك حرية فكر وحق تعبير ويرون أن من يناقشهم متخلف ورجعى وجامد وظلامي ، وأن من يحتكم إلى القضاء متأسلم عميل ومأجور لحساب الوهابيين والسلفيين والإرهابيين ، ولا يكتفون بهذا بل يستنكرون منهج الحسبة الإسلامية ، التي تترجم عمليا الدعوة إلى المعروف والنهى عن المنكر ، امتثالاً لقوله تعالى " وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " (آل عمران : ١٠٤) .

إن الحملة الشيطانية ضد الحسبة تنّكر للدين الحنيف ومنهجه في تطهير المجتمع من التلوث الفكري والسلوكي والعقدي والخلقي والسياسي والاقتصادي . لقد نجح هؤلاء العلمانيون من خلال خدمتهم للسلطات البوليسية والعسكرية الفاشية في إهانة الإسلام وتحقيره باسم حرية التعبير ، ونجحوا في بعض البلاد العربية في إلغاء مبدأ الحسبة وقصره على النيابة العامة ، وشككوا في قيم الإسلام وحسبوها عاجزة عن تحقيق

الحرية والشورى والعدل والمواطنة والمساواة ، فأشاعوا أن تعاليم الإسلام طائفية ، وتكره الآخر ، وتقوم على التمييز ، وضد الإبداع ، والتفكير ، والتقدم !
إن بيان السادة المثقفين العلمانيين هو " إهانة " للإسلام بكل المقاييس ، ودعوة للاجتراء على عقائده وقيمه دون مسوغ من العقل والنقل ، بل دعوة إلى خلع الإسلام من الدساتير والقوانين العربية حيث يطالب البيان بصراحة فاقعة بتنقية الدساتير والتشريعات والقوانين في العالم العربي من كل ما يكبح حرية الرأي والاعتقاد والإبداع ، والمقصود بذلك دون مواربة هو إسلامية الدولة ومصدر التشريع الإسلامي ، وهو أمر لا يحدث أبداً لا في الدول الغربية الاستعمارية الصليبية ، ولا الإمارة النازية اليهودية الغاصبة في فلسطين .. لا أحد هناك من مثقفين وغيرهم يدعو إلى التنصل من دين الدولة أو مذهبها الديني بحجة تنقية الدساتير والقوانين من كوابح الرأي والفكر .
بيان المثقفين العلمانيين وصمة عار في تاريخهم الموالى للاستبداد والحكومات البوليسية والعسكرية ، فضلاً عن كونه إهانة للإسلام .

***

الوزير .. والخيانة !

قبل فترة سألتني شبكة " محيط " الإليكترونية عن رأيي في ترشيح وزير الثقافة الحالي لمنظمة " اليونسكو " ، وتمثيله لمصر في إدارة هذا المنصب الدولي الرفيع .
وكان رأيي يتمثل في عدم توفيق الدولة في اختيار هذا الوزير ، لأنه لا يصلح له ، فقد أخفق طوال عشرين عاماً أو يزيد في قيادة وزارة الثقافة .. وجرت في عهده مفاسد كثيرة ، ثم إنه لا يملك الخلفية السياسية الدولية التي تؤهله لملء هذا المنصب والتأثير فيه بما يخدم مصر . وقلت : إنني كنت أفضل ترشيح الوزير الأسبق " ثروت عكاشة " لإدارة اليونسكو مع أنني لا أستريح لبعض تصوراته الفكرية ، إلا أنه يملك حصيلة جيدة من العلاقات الدولية ، وخاصة منذ عملية نقل معبدي أبى سنبل وإنقاذ آثار فيلة في النوبة عند إقامة السد العالي ، ثم إنه حصيف في تصريحاته وسلوكياته ، ولا يعرض البلاد والعباد لمتاعب أو مصاعب أو مآزق ..
كان هذا مجمل رأيي ، وربما رأى آخرين ، ولكن معالي الوزير فاجأ الناس باتهام من يعارضون ترشيحه لليونسكو بأنهم " خونة " !
ياله من اتهام رخيص وبغيض وغير مسئول !
هل معارضة ترشيح مسئول غير مؤهل لمنصب دولي خيانة ؟ ثم ما مفهوم الخيانة أولاً ؟ هل يعرف الوزير معناها ؟
في معاجم اللغة العربية : خان الشيء خونا وخيانة ومخانة : نقصه . يقال : خان الحق ، وخان العهد . وخان الأمانة : لم يؤدها ، وخان فلاناً : غدر به ، وخان النصيحة : لم يخلص فيها . ويقال خانه سيفه : تباعد الضريبة . وخانته رجلاه : لم يقدر على المشي ، وخانه ظهره : ضعف . ومنه : إن في ظهره لخونا .
وخان الرشاء الدلو : انقطع . وخانه الدهر : غيّر حاله من اللين إلى الشدة . وخانته عينه : نظر نظرة مريبة أو مختلسة ، فهو خائن ، وخائنة (بناء المبالغة ، والجمع خانة ، وخوّان ، وخونة . وهو خوّان ، وهو وهى خئون ..
فأي معنى من معاني الخيانة يقصد السيد الوزير اتهام معارضي ترشيحه ؟
إن معنى مهمّا من هذه المعاني وهو عدم إخلاص النصيحة ينطبق على من لا يواجه الوزير بالحقيقة وينصحه لوجه الله أن لا يسيء لبلاده بوظيفته العالمية إساءة أكبر ، بعد أن أشبعها إساءات على مدى عشرين عاماً أو يزيد !
لقد هبط معالي الوزير على وزارة الثقافة ذات يوم بالبراشوت، وهو لا يملك مؤهلات الوزير الذي يتولى وزارة تحمى عقل الأمة وتراثها وتضيء حاضرها ومستقبلها ، وهو يذكر جيداً المواجهة الصارخة التي قوبل بها يوم اختياره وزيراً ، وهو يعلم أن اختياره جاء لأسباب غير ثقافية . صحيح أنه يملك قدرات جيدة في مجال العلاقات العامة ، يمكنه بوساطتها أن يقترب من الهدف الذي يريده ، ولكنها لا تصلح في مجال التنمية الثقافية الحقيقية . لقد استطاع الوزير بمواهبه في العلاقات العامة أن يستقطب مجموعات من اليسار المتأمرك والبحثين عن الرزق والشهرة لتقف إلى جانبه وتسانده ، وتتولى قيادة المؤسسات الثقافية ، وتمارس عملية الإقصاء والاستئصال لكل من يمت إلى الثقافة العربية والإسلامية بصلة ، وتحوّلت وزارة

الثقافة في عهده الميمون إلى ساحة لإراقة دم الإسلام ، وإعلاء شأن التغريب بمعطياته الفاسدة الهابطة !!
إن وزارة الثقافة تحت قيادة الوزير الحالي شهدت العديد من المآسي المروعة ، بدءًا من إحراق أكثر من خمسين مسرحياً أحياء في بني سويف ، وسرقة الآثار ونهبها ، حتى محاكمة مساعدي الوزير وإدانتهم بالسجن سنوات طويلة بسبب الرشوة والفساد ، ناهيك عن المؤتمرات والمهارج والندوات الصادمة للأمة وحضارتها وثقافتها وقبل ذلك دينها وعقيدتها وشريعتها .
لقد احتفل الوزير لأول مرة في العالم باحتلال بلاده من قبل الفرنسيين الغزاة بقيادة السفاح الصليبي " نابليون بونابرت " عام ١٧٩٨م وهو يعلم أن الاحتلال ذبح الآلاف من المصريين والعرب في مقدمتهم السيد محمد كريم الذي شنقوه على مقربة من بيت الوزير في الإسكندرية ، ثم إنه نهب أموالهم ، وهدم بيوتهم وعاث في الأرض فساداً ، مما سجّله الجبرتي ويحرق القلوب لقسوته وبشاعته ، وللأسف يخرج الوزير المحترم ، ليقول إنه احتفال بالعلاقات الثقافية بين فرنسا ومصر ؟ صحيح يا سيادة الوزير ؟
ولم يكتف معالي الوزير أن يفعل ذلك قبل عشر سنوات تحت سفح الهرم فيكرر الأمر بمناسبة ترشيحه لليونسكو ويذهب مع حشد من أتباعه إلى باريس ، لحضور مؤتمر أو معرض أو فعاليات ثقافية بمناسبة الحملة المشئومة ، تحت عنوان " نار ونور " وكأنه يصر على أن يجعل ذبح شعبه مرتين على يد نابليون ١٧٨٩ وجي موليه ١٩٥٦ ، نارا تحرق التخلف ونورا يضيء للشعب المسكين .. وإني اسأل الوزير ، هل نضع ذلك في سياق الأمانة الوطنية التي هي ضد الخيانة ؟ وهل يرتفع هذا الفعل (الاحتفال بالغزاة القتلة) إلى مستوى خيانة من عارضوا ترشيحه لليونسكو ؟
يبدو أن معالي الوزير من أجل المنصب الذي يحلم به على استعداد لفعل أشياء ضد المنطق والتاريخ ، ومنها تقربه الفج من اليهود الغزاة القتلة في فلسطين ، وحديثه عن آثارهم في مصر (وهل هي آثارهم أم آثار مصر ؟) ثم ذلك الخلط والشطح حول الاعتراف بالأديان غير السماوية التي يطالبنا نحن العرب والمسلمين بالاعتراف بها ، بينما هو يعلم جيداً أن الآخرين من أهل الكتاب وغيرهم لا يعترفون بالإسلام والمسلمين ..
ماذا يريد الوزير بالضبط ؟
إن عهد معاليه من أسوأ العهود الثقافية التي مرت بها مصر ، وإساءته للإسلام والوطن أكبر من أن تنسى .. أما وصفه لمعارضيه بالخيانة فهو أمر سيفصل فيه التاريخ قريبا أو بعيداً ، ولا شك أنه سيضع في خانة الخيانة من يستحق هذا الوصف كائناً من كان .

***

جائزة الشجاعة المدنية

ذهب الكاتب المصري الشيوعي (سابقا) " على سالم " إلى مقر السفارة الأمريكية في لندن ، وتسلم من السفير يوم الأربعاء ٢٠٠٨/١١/١٩م جائزة الشجاعة المدنية ، وقدرها ٥٠ ألف دولار أمريكي .
في الوقت ذاته كان الغزاة النازيون اليهود يٌحكمون حصارهم بمساعدة بعض العرب المسلمين حول قطاع غزة ، حيث لا يجد أهل القطاع وقوداً ولا كهرباء ، ولا دواء ولا غذاء ، ولا يستطيعون الخروج من المعابر ولا يدخلون ..إنهم ينتظرون الموت الجماعي أو الإبادة الجماعية على يد الغزاة النازيين اليهود !
كان " على سالم " صاحب أغنية " على الممر " منتشياً بالجائزة ، وسعيداً بمن سلموها له من الأمريكان والصهاينة ، وقال مفاخراً ومباهياً : " إن الجائزة مهمة جداً من الناحية المعنوية ، لأنني سعيد أن الناس ترى ما أفعله " ، وأعرب على سالم عن سعادته بأن هناك أناساً يمكن أن يقدروا عمله ، وقال إن الجائزة التي تمنحها مؤسسة ترين في الولايات المتحدة ، اعتراف بكل دعواته إلى السلام مع الكيان النازي اليهودي الغاصب في فلسطين المحتلة ، ومعارضة من جانبه لما أسماه التطرف الإسلامي ، حيث إن هناك – كما يرى – ارتباطاً بين غياب السلام والتطرف !
من حق على سالم ، أن يعتقد بالأفكار التي تناسبه حتى لو تناقضت مع مواقف سابقة كانت تبدو أساسية وعضوية ، ومن حقه أن يؤيد الغزاة النازيين اليهود ، وهم يقتلون الشعب الفلسطيني ويسحقونه ويحاصرونه حتى الموت ، ومن حقه أن يؤيد جيش الغزو الصهيوني وهو يطوّر القاعدة العسكرية الصليبية الاستعمارية المتوحشة في فلسطين ، ويهدد الدول العربية والإسلامية بالدمار والخراب والهلاك ، من حق على سالم أن يؤيد ويبارك ما يفعله العدوّ الصهيوني ، والأب الروحي المتوحش في واشنطن وعواصم الغرب ..
من حقه أن يفعل كل شيء ، ولكن ليس من حقه أن يفرض على الأمة أفكاره ورؤاه التي تقضى بالتفريط في عقيدتها وأرضها وكرامتها ومقدساتها .. ليس من حقه أبدا ، ما معنى معارضته لما يسمى " التطرف الإسلامي " ؟ هل يقصد المقاومة الإسلامية للقتلة الغزاة اليهود ؟ هل يقصد التمسك بالدين الإسلامي مثلما يتمسك بدينهم الغزاة النازيون اليهود ؟ ويمنحون دارسي الدين اليهود امتيازات مادية ومعنوية ؟ إن كان يقصد ذلك فنحن نرفض أفكار على سالم في هذا السياق ونؤكد على أن الأمة الإسلامية مهما تعرّضت للقهر والذل والهوان لن تبيع إسلامها وعقيدتها وأرضها ، وستقبض عليها كما تقبض على الجمر !
إن على سالم ، السعيد بالخمسين ألف دولار ، يجب أن يتذكر أن الرئيس السادات ذهب إلى القدس المحتلة قبل ثلاثين عاماً أو يزيد ، وخاطب القتلة الغزاة في عقر احتلالهم ، وقدم لهم كل التنازلات الممكنة كي ينزلوا عند إرادة السلام ، ويسلّموا الحقوق التي اغتصبوها إلى أهلها ، ولكنهم رفضوا ، وحوّلوا الأمر إلى مفاوضات تعقبها مفاوضات ، تليها مفاوضات دون جدوى وفى الوقت نفسه ، لا يتورعون عن

قتـل الشـعب الفلسـطيني واللبنـاني والسـوري بالطـائرات والمدفعيـة والـدبابات والصواريخ ، ويزرعون الضفة والقدس والجولان بالمستوطنات وحواجز التفتيش والإرهاب ، وتشديد الحصار على الشعب الأعزل ، ويتحدثون – يا للفجور – عن الإرهاب والتطرف ، فهل هذا هو السلام يا علىّ ، يا صاحب جائزة الشجاعة المدنية ؟

ثـم مـا معنـى الشـجاعة المدنيـة .. هـل تقابـل الشـجاعة العسـكرية ؟ وهـل الشـجعان العسـكريون الصـهاينة والصـليبيون يؤسسـون للاستسـلام والانهـزام أمـام جبـروتهم الاستعماري باسم الشجاعة المدنية ؟

ألـيس غريبـاً يـا علـى أن يكـون الشـجعان المـدنيون الـذين يؤسسـون للهزيمـة وقبولهـا ورفض المقاومة وتكاليفها ، من اليسـاريين التقدميين الاشـتراكيين ؟ سبقك إليها أهل كوبنهـاجن وجمعيـة السـلام ، بـل إن غـلاة رافضـي المقاومـة الفلسـطينية فـي منظمـة التحرير الفلسطينية هم من اليساريين (المدعو عبد ربه على سبيل المثـال !) ، ثم إن الشيوعيين المصـريين والعـرب كـانوا أول مـن نـادي بالتعـاطف مـع الغـزاة النـازيين اليهود في فلسطين ، ووصفوا حرب الإنقاذ والنجدة للشعب الفلسطيني التـي شـاركت فيهـا الـدول العربيـة بأنهـا " حـرب قذرة " ! وتضـامنوا علنـاً مـع حـزب " المابـام " – العمـال - اليهـودي بقيـادة بـن جوريـون - ؟! وأخيـراً اختزلـوا الصـراع مـع الغـزاة النازيين اليهود في " التطبيع " ! لقد نجح " هنري كورييل " في اللعب بـالمخ العربـي عن طريق اليسار العربي لصالح العدوّ الصهيوني ، وحوّل عداءه من المقاومة للغزو النازي اليهودي ، إلى عداء للإسلام ، وكل ما يمت للإسلام بصلة !

ومـع ذلـك – يـا علـيّ – فهنـاك شيوعيون محترمـون – كـانوا ينفقـون علـى التنظيمـات الشيوعية مـن جيـوبهم وأملاكهـم ، لأنهـم كـانوا يعتقـدون بصـحة النظريـة الشـيوعية ، وأن غايتهم مقاومة الاستعمار والاستبداد ، وللأسف فقد رحل كثيـر مـنهم ، أو صـمتوا ، أو أصـيبوا بخيبة وصدمة في الرفاق الذين صـاروا علـى استعداد لبيـع أي شـيء مـن أجـل مصـالحهم الخاصـة ومنـافعهم الذاتيـة ، وانظـر حولـك فـي الصـحافة والإعـلام وحزب السلطة والتنظيم الطليعي !

تمنيت يا على سالم – يا صاحب أغنية " على الممرّ " ، أن تدين مرّة واحدة ، حصار غـزة أو قتـل الفلسـطينيين فـي الشـوارع والحـواجز وغـرف نـومهم ، أو إقامـة المستوطنات أو الهجرة غير المشروعة إلى فلسطين التـي يقوم بهـا اليهـود مـن أنحـاء العالم .. ولكنك لم تفعل أبداً ، بـل تكـررت زياراتـك لفلسطين المحتلـة ومـدنها وكتبـت عن الغزاة النـازيين معجبـاً " بتحضـرهم " وحيـاتهم ومعيشـتهم ، حتـى منحـوك درجـة الدكتوراه الفخرية من جامعة بن جوريون عام ٢٠٠٥م !

لاشك أنهم مـدينون لـك يـا علـى بـأكثر مـن جـائزة قيمتهـا خمسـون ألـف دولار ، فأنـت تسـتحق أكثـر مـن ذلـك ، فقـد كنـت شـجاعاً فـي قبـول الهزيمـة ، ورفـض المقاومـة والموافقـة علـى تسـليم المقدسـات ! مثلـك كثيـر .. ولكـن المقـاومين أكثـر ، وأحبـاب الإسلام بلا عدد ، وتلك الأيام نداولها بين النـاس !

***

محفوظ عجب .. والكُتّاب الجدد !

الكتاب الجدد نمط جديد قديم من الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل ، ومن خلال تدليسهم على الناس يرددون مقولات خاطئة ، ولا يملون من تكرارها – على طريقة جوبلز – حتى تصير حقائق يتلقفها كاتب عن آخر ، وخاصة من الشباب أو ممن ضعفت علاقتهم بأسباب الثقافة الجادة والمعرفة الأصلية .. بحيث أضحت مصادرهم أعمدة الصحف السيارة ومقالات الكتّاب الحكوميّين أو مثقفي السلطة .

وقد عرفت مصر في العصر الحديث نمطاً من الكتاب صورتهم شخصية محفوظ عجب الروائية الشهيرة وعرفها الناس في السينما والتلفزيون .. شخصية الصحفي الانتهازي الذي يصعد من أسفل إلى أعلى ولو على جثث زملائه وأخلاقه من أجل مصلحته الخاصة ومنفعته الذاتية ، ومحفوظ عجب وزملاؤه يشبهون شعراء المديح ، الذين كانت غايتهم إزجاء الثناء على الحكام والمسئولين وذم خصومهم ومعارضيهم من أجل منافع رخيصة ، وكانت جل كتاباتهم تركز على الممدوح بقصد إضفاء الصفات الحميدة والأخلاق الرفيعة عليه . أي إن مهمتهم محدودة بشخص أو أشخاص يتلقون مديحهم ، ويعطونهم مما يملكون – بيد أنه في أيامنا ، ظهر هؤلاء الكتاب مرة أخرى ولكن في ثوب جديد . إنهم لا يعملون من أجل شخص وحسب ولكن يعملون من أجل نظام معين وفكر محدد . قد تكون السلطة البوليسية من ورائهم ، وقد يكون الحزب الحاكم ممولاً لهم وللصحف التي يكتبون فيها ، وقد يكون هناك رجال أعمال أو مؤسسات دينية غير إسلامية تحركهم وتوجههم وتغرقهم بالمال والعطايا ، أو يتبرعون هم للعمل من أجل الوصول إلى غايات غير كريمة !

ومعظم هؤلاء الكتاب نبتوا في بيئات فقيرة ، والفقر المادي ليس عيباً ، ولكنهم جمعوا إلى الفقر المادي الفقر الخلقي والروحي ، ووجدوا في مهنة الكتابة الصحفية ، والنشاط الفكري في الإذاعة والتلفزة والندوات والمؤتمرات ، مجالاً رحباً ليتخلصوا من الفقر المادي ،وينتقلوا إلى وضع اجتماعي أرقى ؛ وإن لم يتخلصوا أبدا من الفقر الخلقي والروحي ، لأنهم على استعداد للعمل في أي مكان يدر عليهم المال أو الجاه أو السطوة أو النفوذ ، تحت أي ظرف .

بعضهم يعمل في صحف حزبية ، والبعض الآخر في صحف مستقلة ، والبعض الثالث وهو الأغلبية يعمل في إعلام السلطة بكل فروعه ، وهناك بعض رابع يأتي من مؤسسات غير إعلامية أو تم نفيه من عمله الأصلي لسبب أو آخر ، ولكنه يشارك بقلمه وكتاباته ، سعياً للحصول على المزيد من المكاسب .

وكلمة السر المشتركة الأولى في إثبات كفاءة هؤلاء هو الهجوم على الإسلام وتشريعاته مباشرة أو من خلال التنظيمات الإسلامية غالبا ، وخاصة جماعة الإخوان المسلمين ، أو المحظورة كما يسمونها ، فهذا الهجوم الذي يُصوّر الإسلام بصورة معادية للدولة المدنية التي لا يتحكم فيها العسكر أو الشرطة ، أو تقديمه معاديا لما

يُسمى المواطنة ، أي الكرامة والحرية والمساواة والمشاركة التي يتمتع بها المواطن في دولة حرة محترمة .. وغير ذلك ألوان وأشكال .
وكلمة السر المشتركة الثانية في منهجهم : تلقف ما يصدر عن المعنيين بأمور الإسلام أو ممن يفترض فيهم ذلك ، واصطياد بعض الجزئيات السلوكية المختلف عليها ، وتضخيمها ، لتشويه صورة الإسلام ، وتنفير الناس منه ومن أتباعه ، مع أن الإسلام حجة على المسلمين والمسلمون ليسوا حجة عليه .
وكلمة السر المشتركة الثالثة هي اللعب بالورقة الطائفية ، ودعم التمرد الطائفي من خلال وصم المسلمين بالتعصب وكراهية الآخر والتمييز الديني ورفض السلام على غير المسلمين أو مصافحتهم وعدم تهنئتهم في المناسبات الدينية واستحلال أموالهم وأسلمتهم ، أي إكراههم على دخول الإسلام ، وازدراء معتقداتهم من خلال بعض الكتابات والإذاعات والقنوات التلفزيونية . ويأتي هذا من خلال لغة وقحة فاحشة أحيانا ، أو لغة مراوغة مائعة في بعض الأحيان .
وكلمة السر المشتركة الثالثة ، هي المحور الذي يعمل عليه بتركيز شديد الكتّاب الجدد ، وحقق بعضهم من خلاله نجاحات مادية عظيمة سواء في الإثراء أو احتلال مراكز جيدة في الصحافة والإعلام والسياسة معاً ، فانتقل بعضهم من السطوح إلى القصور ، واحتل بعضهم مناصب لم يكن يحلم بها ، وأضحي لبعضهم مساكن في أرقى الأحياء وصالونات وعلاقات مع علية القوم ومشاهيرهم ، فضلا عن علاقات استثنائية مع رموز التمرد وقادته !
لذا جاءت معالجتهم لموضوع التمرد الطائفي منحازة إلى المتمردين انحيازاً كاملاً ، أسسوا عليها مطالب خطيرة ، تستهدف استئصال الإسلام من حياة المسلمين تماماً .
ففي المقالات واللقاءات والندوات والمؤتمرات التي تبثها وسائط الإعلام والصحافة لهؤلاء الكتاب الجدد تراهم يُطالبون السلطة ويُلحون عليها لإلغاء البرامج الإسلامية في الإذاعة والتلفزة ، بحجة أنها تسيء إلى غير المسلمين ، كما يطالبون بتغيير مناهج التعليم والتربية الدينية حتى لا يبقى فيها أثر من تعاليم الإسلام ولا تشريعاته ولا تاريخه ، فضلاً عن إدانتهم الدائمة للإسلام والمسلمين ، وقد كان سقوطهم الذر يع يوم نشروا في الصحف الكبرى داخل البلاد وخارجها إعلاناً ضخمة على صفحة كاملة يطالبون فيها بإلغاء المادة الثانية من الدستور المصري التي تقضى بمرجعية الشريعة الإسلامية للقوانين ، وكون الإسلام دين البلاد الرسمي .. وقد تساءل الناس عن ممولي قيمة الإعلان الذي نشرته أكثر من صحيفة ، تتقاضى كل منها مبلغاً خرافياً ، يفوق طاقتهم المادية مجتمعين ... !
لقد ترك هؤلاء الكتاب القضايا الرئيسية والضرورية التي تهمّ البلاد والعباد ، وراحوا يتناولون الأمور الهامشية التي تتعلق بالإسلام والمسلمين ، ويستغرقون في مناقشتها ، وتحويلها إلى قضايا إستراتيجية بوصفها ستؤثر على نظام الكون كله ، وليس على النظام في مصر .
إنهم مثلاً يريدون تحريم قراءة الفاتحة على المسلمين ، بل يريدون إلغاءها من القرآن الكريم ، والسبب أن الآية الأخيرة فيها تقول " غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ، ويسبقها قوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم "

فالمغضوب عليهم والضالون ، هم من انحرفوا عن الصراط المستقيم الذي هو دين الإسلام ، دين الهداية والاستقامة ، وهؤلاء يشملهم كل من رفض الرسالة الإسلامية ، سواء كانوا يهوداً أو نصارى عرفوا طريق الحق ولم يتبعوه . إن كلام ربنا المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والأحق أن نتبعه ، ينبغي ألا نصغي إليه وفقا لكلام الكتّاب الجدد الذين يتطوعون بالفتوى في أمور الإسلام ، وكثير منهم إن لم يكن كلهم ، لا يصلى ولا يصوم ولا يزكى ولا يحج ، بل إن بعضهم يكتب وهو تحت تأثير الغيبوبة التي يصنعها إدمان المسكرات والدخان الأزرق .
ليس غريباً أن يلتقي الماركسي المتأمرك مع المتأمرك المتصهين ، مع الماسوني المرتزق على هجاء الإسلام وإهانة نبيه – صلى الله عليه وسلم – والتشهير بالصحابة رضوان الله عليهم ، وتجريح علماء الدين واتهامهم بكل نقيصة وعيب (قال أحدهم يجب إلقاء صحيح البخاري في أقرب سلة زبالة ، ووصف بعضهم أبا هريرة رضي الله عنه وصفا أستحي من ذكره!) ، في الوقت الذي يؤيدون فيه التمرد الطائفي ويعلون من شأنه ، وهم يعلمون أن خطره على الوطن مدمّر وقاتل لأنه يؤدي إلى تفكيكه وتخريبه ، كما يؤدى إلى سفح دماء غزيرة بريئة ، ثم إنهم حين يتحدثون عن رموز التمرد أو معها ، تجدهم يُطأطئون أقلامهم ، ويغمسون حروفهم في مداد المذلة والخضوع والخنوع ، ويصفون قادة التمرد بأصحاب القداسة والنيافة ، ويناودنهم بالآباء والأعمام وبعضهم لص كبير أدانته المحاكم وعاقبته على إجرامه ، ويسبغون عليهم صفات البطولة والنضال والتقدمية والتنوير فضلاً عن غسل سمعة من تدور حوله الشبهات في نفاق رخيص وتملق أرخص .
وهكذا يتفوق الكتاب الجدد على محفوظ عجب ، حيث تجاوزوه بمراحل لتخريب وطن وتدمير أمة، واستئصال دين ، وليس مجرد مدح شخص مسئول أو ذمه أو خدمة ضابط في جهاز أمن !

***

مهرج شكسبير !

من المؤكد أن النفس البشرية موّارة بحالات المدّ والجزر ، إيجاباً وسلباً ، انبساطاً وانقباضاً ، تفرح لبعض الأمور وتحزن لبعضها الآخر .. وقد تكون هذه الأمور بسيطة وهامشية ، ولكنها تشكل عنصر الفرح أو عنصر الحزن ، الذى ينقل المرء من حال إلى حال ، وقد يترتب على ذلك أن يأخذ مواقف مؤثرة ليس فى حياته وحدها ، ولكن فى حياة الآخرين ..

لفت نظرى فى الاونة الأخيرة ، خاصة فى عالم الكتابة والكتّاب ، وعلى مستوى الصحافة و الفكر ، أن هناك نفراً ممن يكتبون يعشقون شيئاً اسمه " الشهرة " . والشهرة مبذولة لكثيرين من غير الكتاب ، مبذولة بسهولة شديدة ؛ فلاعب الكرة والراقصة ، والمطربة ، والممثلة ، والممثل الكوميدى (المهرج) ، والديكتاتور ، والجلاد ، ومذيعة التليفزيون ، والمنجّم ، والدجال ، والمليارديرِ ، وأشباههم ، كل هؤلاء أكثر شهرة من العلماء والباحثين والأدباء والكتاب والصناع والقادة وأبطال الحروب والمخترعين والعُبّاد والزُّهاد والمصلحين والأنبياء ؛ باستثناء نبينا – صلى الله عليه وسلم – الذى جعل الله سبحانه ذكره فى كل الأرجاء ، وقال عنه فى سورة الشرح : ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)) ، ولعل ذلك كان بشارة بانتشار الإسلام فى أرجاء الأرض ، ومعه ذكره صلى الله عليه وسلم ، فى كل صلاة وقيام : ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) (الأحزاب : ٥٦) .

وعندما توفى الكاتب نجيب محفوظ – وهو أكثر كتاب العرب قاطبة فى الشهرة - ، توفى لاعب كرة ، اسمه " محمد عبدالوهاب " ، تجاوز العشرين بقليل ، وكانت المفارقة أن هذا الشاب الصغير فاقت شهرته شهرة الكاتب " نجيب محفوظ " ، الذى يصفه البعض بالكاتب العالمى . لقد رأيت الصحف والمجلات والبرامج التليفزيونية والإذاعية تخصص له من مساحتها وأوقاتها مالم تخصصه للكاتب العالمى ، وهذا يعنى أن " الشهرة " فى عالم الكتابة لن تصل بالكاتب مهما تفوق إلى شهرة لاعب كرة !

وهذا الذى قلته يقودنى إلى الإشارة إلى أن الكاتب وأشباهه من أصحاب القضايا الكبرى لا تعنيهم الشهرة فى قليل أو كثير ، لأن غايتهم هى خدمة المبادئ التى يؤمنون بها ، ويعملون من أجلها ، ويضحون فى سبيلها .. لذا نرى كثيراً من الكتاب والعلماء والباحثين وغيرهم ينكرون ذواتهم ، ويركزون كل طاقاتهم فى العمل والإنتاج والإبداع ؛ لأن هذه غايتهم الكبرى ، ولذتهم الكبرى أيضاً .

لكن نفراً من كتابنا ، وخاصة فى الصحافة يجعلون غايتهم هى البحث عن الشهرة أو بلغة الأيام الجرباء يبحثون عن " الفرقعة " ليذكرهم الناس ، ويُحققوا وجوداً فى أذهان الجمهور ويفاخروا أهليهم وذويهم أنهم أصحاب " حيثية " ، حتى لو جاءت هذه الحيثية على حساب أغلى القيم وأثمن المبادئ !!

لقد وجدوا فى معارضة النظام الحاكم فرصتهم المثلى لهذه الغاية فراحوا يُهاجمون الحكومة ويشتمونها ؛ بل يمتد الأمر إلى رئيس الدولة ، وكأنهم أبطال الفتوحات التى لم يسبق لها مثيل . وهو ما يُلقى فى روع البسطاء والسذج ، أنهم

شجعان بحق ، وأنهم يواجهون الرءوس الكبيرة فى النظام الحاكم بكل عنف وثقة مما يُحوّل هذه الرءوس إلى " أرانب " مستكينة ، لا تملك حولاً ولا طولاً ، ولا تستطيع أن تفتك بهم ، أو على الأقل " تقرص " آذانهم كى تؤدبهم ، بالاعتقال القصير ، أو التأديب على طريقة ما حدث لبعض الكتاب الراحلين والأحياء .. ولم يسأل أحد من هؤلاء البسطاء والسذج لماذا تتركهم السلطة ذات الأنياب الحادة والأظفار الفتاكة يصولون ويجولون دون أن تزعجهم ، بل تسهم فى تسهيل الخدمات وتقديم الإغراءات لهم ، فبعضهم مع أنه حدث السن بالنسبة لمن هم فى مثل وظيفته ، يرأس تحرير صحيفتين أو يكتب في أكثرمن صحيفة حكومية ، وغير حكومية ، أو يقدم برامج فى تلفزيون السلطة وإذاعاتها ، أو تلفزيونات أصحاب القروض وإذاعاتهم ؛ ويأخذ مقابلاً ضخماً لما يقدمه .. يحدث أحياناً بعض التلاحى والسجال مع صحف النظام ، هؤلاء يشنون حملات هجومية على أولئك ، ،وأولئك يردون على هؤلاء بالمثل .. وهكذا .. بل إن الأمور تصل أحيانا إلى المحاكم عن طريق قضايا يرفعها بعض الأشخاص المجهولين ، ولكن الأمور تظل فى دائرة " الأمان " !

والسلطة حين تترك هؤلاء تعلم أنها المستفيد الأول مما يكتبون ، فهى تقدم نفسها من خلالهم للسادة الأميركان واليهود ، بأنها ديمقراطية ، وأن لديها صحافة حرّة لا تتطاول على الموظفين الصغار وحسب ، ولكنها تمتد إلى الرءوس الكبيرة ، وهى تتركها تتطاول وتشتم وتسبّ .. لأن صدرها فسيح جداً ، ولا تتأثر كما يكتبون ويقولون .

ثم إن هؤلاء في النهاية لايخرجون عن خط السلطة الحقيقي حين تطلقهم ليعقروا المعارضين الحقيقيين ؛ وخاصة الحركة الإسلامية ،فيصفونها بأقذع الأوصاف ، ويلفقون لها من التهم ما شاءت لهم السلطة وشاء لهم الخيال ، لدرجة أن سمعنا من يقول أخيرا إن الإخوان أخطر من اليهود! وليتهم كانوا كذلك ليحرروا لنا القدس على الأقل !

ثم إن السلطة تعلم تاريخ هؤلاء جيداً ، وفضائحهم جيدا ، فقد ربتهم جيداً ، وعرفت ما يوجعهم جيدا، وبعضهم كان ينطق باسم لاظوغلى ، ويعتمد على ملفاتها فى فبركة تحقيقات وموضوعات ضد شرفاء الأمة من المعارضين الحقيقيين الذين لا يشتمون ولا يسبون ، ولكن يُعارضون معارضة مبدئية يتحملون ثمنها سجنا واعتقالاً وتشهيراً وتجريحاً بالباطل ، وبأقلام هؤلاء الشجعان الجدد ، الساعين إلى الشهرة فى ظل " الأمان البوليسى "!

كم من الأكاذيب والأباطيل والأراجيف والتهم الباطلة روّجوها ضد هؤلاء الشرفاء بأقلامهم التى لم تعرف الوضوء ولا الطهارة .. أحدهم كتب رواية صوّر فيها داعيةً إسلاميا مشهوراً - بلغت شهرته وحبه الآفاق الإسلامية من إندونسيا حتى مراكش - بأنه شاذ يلتقط المراهقين والصبية نظير الهدايا الغالية التى يغدقها عليهم مقابل ممارسة الشذوذ معهم !! ولم يكتف بالتصوير القصصى بل أكثر من مقالاته التى يتهم فيها الرجل بالباطل فى كثير من الأمور .. وكان يقول لبعض من يعرف : أتمنى لو يردّ علىّ الرجل بكلمة واحدة كى اشتهر فى مصر والعالم

العربى كله ؟! ولكن الرجل – عليه رحمات الله ورضوانه – لم يمنحه هذه الأمنية أبداً!

آخر يُحاول أن يشدّ الأبصار إليه باتهام بعض الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم اتهامات رخيصة ، أو يشكك فى أحاديث صحيحة ، ويسخر من رواة الأحاديث العظام بطريقة فجة جاهلة ، هدفها الغاية الملعونة وهى " الشهرة " !

ثالث عن طريق العناوين الضخمة الفارغة من المضمون التى يصوغها بعامية سخيفة يُحاول أن يكسب بطولة سياسية تحقق له مكانة مرموقة بين طلاب الحرية والعدل والكرامة ، وهو فى حقيقة الأمر على صلة وثيقة بسادته غير المشهورين فى " لاظوغلى "!

ولاريب أن هؤلاء جميعا وأمثالهم يقومون بدور " مهرج شكسبير " ، الذى كان ضيفاً دائماً على الملك أو الأمير فى بعض مسرحياته ، فيأتى لتسليته والتسرية عنه والشرب معه ، وفى أثناء ذلك يتناوله بالقدح والسبّ والشتم ، والملك أو الأمير يضحك من مهرجه المخلص الذى يعرف حدود اللعبة ، ولكنه حين يصحو من السكر ، ويتذكر أعداءه الحقيقيين ، فإنه يتجاهل المهرج ، ويبحث عن سيفه أو السم ليدسه لمعارضيه الذين يُهدّدون عرشه ، ويبحثون عن الحرية والعدالة بحق!

***

تجار الدراما .. وإرهاب الحكومات !

يلعب معظم تجار الدراما والأفلام والمسرحيات من كتاب ومخرجين ومنتجين وغيرهم دوراً مزدوجاً فى خدمة القوى الاستعمارية الدولية والحكومات العربية التابعة لها ، وفى الوقت نفسه يزعمون أنهم يقدمون صورة الإسلام السمح من خلال أعمالهم وكتاباتهم .

هذا الدور المزدوج يمثل حالة من حالات انحطاط الدراما والفن ، لأنها تُحوّلها إلى صورة دعائية فجة للحكومات التى تحتفى عادة بالأعمال التى تتناول عنف بعض الجماعات ، وتغدق علي المشاركين فيها كثيراً من الرعاية والامتيازات والشهرة والجوائز، فضلاً عن العوائد المادية والأدبية التى تأتى نتيجة لشراء الجهات الإعلامية الرسمية (التلفزة والإذاعة) لهذه الأعمال ، واستضافة أصحابها فى البرامج والصحف والندوات والمؤتمرات وإجزال العطايا والهدايا والجوائز لهم !

أهم ما يُميز هذه الأعمال هو إدانتها للإسلام ، وليس للقائمين بالعنف أوالإرهاب . وسبق أن كتبت عن هذا الملمح تفصيلاً فى أكثر من مناسبة ، ولكن الذى أريد أن أؤكد عليه هو تقديم الصورة القبيحة الدموية الجاهلة التى يعيشها بعض الأفراد ، والسلوكيات التى يُمارسونها فى واقعهم وحياتهم بوصفها من خصائص الإسلام الطبيعية ومعطياته الحقيقية .

إنهم مثلاً لا يقدمون شخصا ضلّ الطريق ، وانساق إلى العنف فى ظل ظروف معينة ونتيجة لأسباب خاصة ، ولكنهم يقدمونه كأنه نبت شيطانى تغذيه جهات أجنبية (؟) يستسلم لها استسلاماً كاملاً ، ولا يوجد له في أعمالهم الفنية والدرامية مقابل إسلامى حقيقى ، يقدم الإسلام بسماحته ورحمته وكرمه وتعففه وشرفه وكبريائه وعزته .. إن المقابل الذى يقدمونه هو المسلم الذى " تأورب " أو " تغرّب " أو تثقف بالثقافة الأوربية الغربية بكل ما فيها من قيم مغايرة وسلوكيات مختلفة .. وتفيض على هذا المقابل الغريب ملامح الإنسانية الرقيقة والبشرية المسالمة ؛ سواء كان شيوعيا أو وجوديا أو إلحاديا أو سكيراً أو عربيداً أو إباحيا بصفة عامة .

بل إن المفارقة تتأتى فى بعض الأحيان حين يقدمون صورة المتشدّدين والمتزمتين من غير المسلمين ، فهم يقدمونهم فى صورة محبوبة جميلة .. فهذه الزوجة غير المسلمة مثلاً ، حين تأخذ من زوجها غير المسلم موقفا حاداً وعنيفاً لأنه يلعب الورق أو يشرب الخمر ، لا يصورونها جافة خشنة قاسية الملامح كما يصورون الشخصيات الإسلامية التى يزعمونها متشددة أو متطرفة .بل يقدمونها في صورة الإنسان الباحث عن الأخلاق والمروءة والشرف مما يجعل الجمهور يؤيده ويقف من ورائه!

وواضح أن إنتاج الأعمال الدرامية التى تعالج العنف والإرهاب كما يزعمون ؛ تأتى فى سياق دولى عدوانى تقوده جهات استعمارية معروفة ، ليست غايتها

التعريف بسماحة الإسلام ومسالمته بقدرما تهدف إلى تشويهه وتنفير الناس منه وأولهم المسلمون العوام الذين حرمتهم الحكومات الإسلامية من دراسة الإسلام ومعرفة أصوله الصحيحة وقواعده السليمة، وفرضت عليه حصاراً استئصاليا فى كل مكان يمكن أن يكون فيه فعّالا ومثمرا للإسلام والمسلمين بدءاً من الإعلام والتعليم والثقافة حتى القضاء والنيابة والمؤسسات العسكرية والبوليسية .

إن الإسلام لا يقرّ العنف أو الإرهاب ضد أى أحد من الناس ، فما بالك بالمسلمين أخوة الدين وأشقاء العقيدة وأهل الوطن ورفاق المجتمع .. ؟ إنها حالة واحدة فقط يفرض فيها الإسلام على القادرين حمل السلاح ويُجبرهم أن يرفعوه ضد الغزاة الذين يعتدون على الأوطان ويردعون البلاد والعباد . أما الاعتداء على الآمنين والمسالمين ، فهو أمر يرفضه الدين نصاً وتطبيقاً .

ولا شك أن العنف الذى عرفته بعض البلاد العربية فى العقود الأخيرة ، هو ظاهرة غريبة ليست مألوفة فى مجتمعاتنا الإسلامية المسالمة ، وقد انحسرت هذه الظاهرة التى كانت تتبناها مجموعات محدودة ، نتيجة لعوامل صنعتها السلطات الحاكمة فى الأغلب الأعم .

وكان يمكن لتجار الدراما أن يُعالجوا هذه المسألة فى سياق عام ضمن ظواهر اجتماعية أخرى موضحين أسبابها والدوافع التى قادت إليها . ولكن تجار الدراما ، وأغلبهم شيوعى أو علمانى أو مرتزق يسعى إلى الكسب بأية وسيلة ولو كانت حراما ، وجدوا الفرصة سانحة ، فصنعوا بالوحى البوليسى أو التطوع التلقائى مسلسلات وأفلاماً وتمثيليات ، وقاموا بالترويج لها فى أجهزة الدعاية التى تسيطر عليها الدولة تؤكد على عدوانية الإسلام وفقدان البديل الإنسانى الذى يمثله المسلم المعاصر .. وأضافوا إلى ذلك حالة دعائية مفتعلة تقول لإن هناك من يكفرهم ؛ وإنهم مهدّدون في حياتهم ، وإنهم معرضون للاغتيال ،ومعظم ما يقولونه تهويل لاأساس له في الواقع ، يشبه بعض الرسائل المجهولة التي تصل إلى كتاب الصحف والمجلات ردا على بعض مقالاتهم ، ويأتيني شخصيا كثير منها على الشبكة الألكترونية (النت) ،باسم المجلات والصحف والمواقع التي أكتب فيها ، ولا آبه لها، لأنها في الأغلب الأعم رسائل " فشنك" لاقيمة لها ، ولكن القوم صنعوا من أنفسهم ضحايا ، وصنعوا من أنفسهم أبطالاً وشهداء ، وهم فى الحقيقة لا يتجاوزون مخبرى الشرطة وعملاء المباحث .

إن العنف صناعة حكومية فى أغلب الأحوال ، صنعتها سجون الاستبداد وما يجرى فيها من تعذيب وحشى ، لا تقره شريعة ولا عقيدة ولا قانون ، وصنعتها ممارسات حكومية ظالمة ، جعلت الناس تفقد الأمل فى العدل والمساواة والكرامة ، وصنعتها ممارسات حكومية إجرامية فقدت الرشد والاتزان ، ففاقمت من الفقر والتخلف والقهر ، وساندت النهب والفساد والانحراف ، وخلفت فيالق من العاطلين والمتسكعين بلا عمل ولا هدف ولا غاية ، وصار القانون فى حماية الأقوياء ، وضد الضعفاء .. وانهار التعليم والعلم والثقافة والصناعة والزراعة ، ولعبت الدول الكبرى بجواسيسها وعملائها وأتباعها فى كل مرافق المجتمع والحياة التى يعيشها العرب والمسلمون ؛ ثم كانت الجريمة الكبرى التى ارتكبتها

الحكومات العربية الإسلامية بمحاربة الإسلام ودعاته، والتضييق على الفكر الإسلامى فى الإعلام والتعليم والثقافة والمساجد ، وتفريغ الأزهر والتعليم من العلوم الشرعية الإسلامية والعربية .

كل هذا لا يذكره تجار الدراما ، ولكنهم يركزون على جانب واحد فقط ، هو تقديم المسلم الإرهابى الدموي الذى لا يتورع عن القتل وسفك الدماء واستحلال دماء الآخرين واستباحة كل شىء ، وامتلاك قلب من الصخر لا يأبه للضعف الإنسانى ولا يصغى لخفق القلوب !

إن تجار الدراما ، وخاصة الشيوعيون – أو من كانوا كذلك ثم تأمركوا – والمرتزقة الذين جاءوا من قاع المجتمع ، يرتكبون جريمة حقيرة فى حق المجتمع والوطن والأمة ، وقبل ذلك الإسلام والمسلمين ، وهم يخونون بلادهم ويخدمون أعداءها ، ولو ادعى بعضهم أنه مطلوب على قائمة " الموساد " !

***

ولا عزاء لأدونيس فى نوبل!

قبل أيام كتبت عن جائزة نوبل التى مُنحت فى أكتوبر ٢٠٠٦م للروائى التركى ((أورهان باموك))، الذى كتب عدّة روايات تعالج الصراع بين الشرق الإسلامى والغرب الصليبى ، وتنحاز للطرف الثانى بصفة عامة ، حيث عبّر عن إدانة بلاده بسبب المذابح المزعومة ضد الأرمن والأكراد التى يدعيها الغرب ، وقلت إن ((باموك)) لو أدان مذابح الغرب الاستعمارى الصليبى ضد العراقيين والأفغان والبوسنيين ، مثلا.. ما كان قد حصل على جائزة نوبل أبداً .

كان عدد من الكتاب العرب وغير العرب من الذين ينتمون إلى العالم الإسلامى ، ينتظرون الحصول على الجائزة ولكن " التركى " سبق بها . وكان من بين هؤلاء الكتاب على أحمد سعيد (أدونيس) ، وهو من الطائفة النصيرية (التى تسمى بالعلوية) الحاكمة فى دمشق ، وانتمى إلى القوميين السوريين، وبعد الوحدة السورية المصرية ترك سورية احتجاجاً على الوحدة وعاش فى بيروت ، ويُقال إنه " تنصّر " وتم تعميده فى جامعة القديس يوسف ، التى منحته درجة دكتوراه الفلسفة فى الأدب عن كتابه الشهير " الثابت والمتحول " الذى صدر فى ثلاثة أجزاء .

وأدونيس ، الذى ولد عام ١٩٣٠م فى قرية قصابين باللاذقية (معقل الطائفة النصيرية / العلوية) ، هو فى الأصل شاعر ، أصدر مجموعة كبيرة من الدواوين ، من أشهرها : أغانى مهيار الدمشقى ، دليلة ، قالت الأرض ، وقدم قراءة للشعر العربى القديم ، ومختارات منه محتذيا فى ذلك الشاعر الرائد " محمود سامى البارودى " مع الفارق الزمنى والفكرى بين الاثنين .

وأبرز أفكار أدونيس ، التى عبّر عنها بصورة واضحة وصارمة مبثوثة فى مجلة " مواقف " ، فضلاً عن شعره ، هى رفض الإسلام ، والإيمان بمقولات لينين عن الدين بصفة عامة ، وكان يمثل فى الستينيات مع مجموعة من الشعراء اللبنانيين ما يُسمى بشعراء الرفض . والرفض ليس التمرد على الاستبداد أو الظلم أو التخلف ، ولكنه رفض الإسلام والعروبة والوحدة ،ثم تبني ما يسمى الآن بالحداثة بمفهومها الغربي، ويركز دائماً على أن الحياة العربية ليس بها محور غير الانحطاط وأن العربى لا يخرج عن كونه طفلاً أو هيكلاً عظمياً ، وأنه ليس الله فى المنطقة العربية هو الميت ولكنه كذلك العالم والإنسان . وأن القرآن " خلاصة تركيبية لمختلف الثقافات التى نشأت قبله "، وأن عودة العربى إلى نقائه الأول لا يمكن أن تتحقق إلا فى ضوء عودة الشاعر يوسف الخال إلى المسيح !

وشعر " أدونيس " يمتلئ بعدد من الرموز التى تدور حول النار ، وفينيق ، والصلب ، والجلجلة ، والطوفان والمطر ، والجرح ، والوثنية . ثم إنه يتخذ من " مهيار الديلمى " الشعوبى القديم رمزاً له فى " مهيار الدمشقى " .

ومن أشعاره : " إننى مهيار هذا الرجيم / إننى خائن أبيع حياتى / إننى سيد الخيانة " . ومنها : " لا الله أختار ولا الشيطان / كلاهما جدار / كلاهما يُغلق لى

عينى " أو " أعبد فوق الله والشيطان / دربى أنا أبعد من دروب / الإله والشيطان " أو " خريطتى أرض بلا خالق / والرفض إنجيلى " .

وبعد أن انتهى " أدونيس " شاعراً بحكم الزمن وتقدم السن واحتضان الأنظمة الشمولية له ، واحتفائها به فى مناسباتها المختلفة ، بل واختلاق المناسبات التى تدعوه إليها ، وتقيم له الأفراح والزينات ، وتُضىء له الشاشات الصغيرة ، ليعبّر عن استعلائية مرذولة ، واحتقار للآخرين وخاصة من الشعراء والنقاد والمفكرين الذين ينقضون أفكاره وتصوّراته ، فقد راح يعزف على وتر آخر ، يصب نغماته فى آذان الغزاة اليهود والغرب الاستعمارى . وبدلاً من أن يقف مع شعوب الأمة العربية فى كفاحها ضد الغزاة والأعداء ، فإنه ينعطف تحت مسميّات براقة ، ليلوى أعناق المضطهدين من أمته نحو قضايا هامشية ، وكأنه يؤكد على صواب ما يفعله الغزاة والأعداء .

من ذلك مثلاً خطابه الذى وجهه إلى السلطات اللبنانية عام ٢٠٠١م فى جريدة الحياة ، والانتفاضة الفلسطينية الثانية فى عنفوانها يطالبها فيها بمنع عقد مؤتمر " مراجعة الصهيونية " . إنه لا يُشير أبدا إلى المجازر الصهيونية ضد الشعب الفلسطينى ، وعدوانها المستمر على جنوب لبنان وتحليق الطائرات اليهودية فى السماء اللبنانية التى يعيش تحتها .

إنه يرى أن " الثقافة العربية " هى الثقافة المجرمة الآثمة التى يجب أن توجه إليها اللعنات ، لأنها تنشغل بمطاردة اليهود وتدمير الغير ، والنتيجة أنه لم تعد لدينا قضية إنسانية (!) تتجاوز حدود أنانيتنا ولماذا لا يمكن أن نحارب إسرائيل ونسالم فى الوقت نفسه الفن والأدب اللذين ينتجهما كبار الأدباء والفنانين اليهود خارج إسرائيل وداخلها ؟ "

لا شك أن الشاعر الكبير أدونيس لايدرى شيئاً عن واقع الصراع الجارى بين الغزاة النازيين اليهود ، وبين من يفترض أنهم شعبه وأهله وأنه واحد منهم . ولا ندرى هل لديه علم عما يقوله عنا أدباء اليهود وفنانوهم وصورة العربى فى قصصهم وأشعارهم ومسرحهم ؟

هل تزعجه العمليات الاستشهادية ، وعمليات المقاومة عموماً ، ولا يُزعجه قصف بيروت وغزة وخان يونس والمخيمات الفلسطينية ؟

وهل ما يقوله أدونيس عن " ثقافتنا المتوحشة " له علاقة بالمؤتمرات التى انعقدت فى برشلونة وغيرها وشارك فيها مع نفر من اليهود الغزاة ؟

لا ريب أن أدونيس كان يتهيأ بكلامه وأفكاره ليتلقى جائزة نوبل ، ولكنها للأسف أخطأته ، وذهبت إلى " درويش " أكثر عشقاً للأوربيين ، وهو التركى " أورهان باموك " .

ويبدو أن بعض الجهات العربية لم يرضها أن يحزن " أدونيس " الذى طال انتظاره لنوبل ، ولم تأت ، فجهزت له نوعاً من التعويض الذى يجعله موجوداً على الساحة ، ولو أعاد إنتاج كلامه القديم ، فقد قررت مكتبة الإسكندرية استضافته لمدة أسبوعين ضمن برنامج يُسمى الباحث المقيم ، يلقى فيه أربع محاضرات ، ويلتقى عدداً من رواد المكتبة المختارين بدقة ، فيلقى محاضرة عن

" الثابت والمتحول " فى الثقافة العربية : قراءة لكتابه الثابت والمتحول " وأخرى عن " الذائقة الشعرية " وثالثة عن " الشعر والفكر " ورابعة عن " الشعر والهوية " .. وبذا تكون مكتبة الإسكندرية قد قدمت عزاءً مناسباً لأدونيس الذى يرى ثقافة أمته لا تهتم بالإنسانى الذى يحيى الذات وتحيا بها الذات وتساعد الآخرين على الحياة . لكنها مشغولة بتشويه الإنسان اليهودى والاستعمارى طبعا وقتله والتضحية به ونفيه !!

أما رأيه في المصريين الغزاة ، فهو أمر يحتاج إلى كلام كثير ، ويكفى أنه يرى أن كل شىء يبدأ بالفراعنة ينتهي بالموت والخراب ، وسماهم في عهد الوحدة مع سورية بالرمل والغربان ..!!

ما رأيكم دام فضلكم فى أسطورة " أدونيس " الذى يرى فيمن يقتلنا إنسانية وتحضراً ، ويرى فى ثقافتنا توحشاً وتخلفاً ؟

***

مثقفو الحظيرة .. وفوبيا الإسلام .!

استقبلت العوالم والغوازى معالى الوزير الفنان فى مهرجان السينما بالزغاريد والهتافات من قبيل " الله عليك يا كبير " و " يا كايدهم ياروقة " و " احنا معاك على طول " ، ولم يبق لهن إلا أن يتحزّمن ويرقصن ابتهاجاً بانتصار معاليه على الظلاميين والظلاميات " المعاقات ذهنياً " ، المؤمنات بالفكر الصحراوى الظلامى !

موقف العوالم والغوازى اللائى ظهرن بملابس كاشفة أكثر منها ساترة ، أو بتعبير عادل إمام – لابسات من غير هدوم – لم يُزعجنى ، فهذا أكل عيشهن ، اضطررن إليه فى ظل الحاجة التى تتطور إلى خضوع لتجار الأفلام والمسلسلات ، وبريق الشهرة الذى يجعلهن أو يجعل معظمهن يُضحين بأشياء كثيرة ، فى مقدمتها البيت والأسرة والإنجاب والاستقرار .. وقد كان منظرهن فى استقبال الوزير معادلاً لموقف الشعب المصرى الذى وقف إلى جانب دينه وفريضة الحجاب بالمعنى الشائع (كشف الوجه واليدين) .

لم أحزن لموقف العوالم والغوازى - ومعذرة للمصطلح فهن لا علاقة لهن بالفن الحقيقى – ولكن الذى أحزننى هو موقف من أطلقوا على أنفسهم اسم المثقفين واستنكروا موقف الشعب المصرى فى بيان أصدروه ونشروه وانضموا إلى جانب الوزير ، واحتكروا لأنفسهم صفة " الطليعة " ، ولا ندرى من الذى أعطاهم الحق أن يكونوا طليعة الشعب المصرى أو طليعة القوى المناصرة للحرية ، بينما هم فى الواقع المرئى والملموس ألد أعداء الحرية وخصومها ، وخاصة فيما يتعلق بالإسلام وحرية المسلمين فى التعبير عن أنفسهم وعن عقيدتهم . فهم لا يُريدون أن يكون للإسلام بمعناه الوارد فى القرآن الكريم والسنة وإجماع الأمة على مدى أربعة عشر قرنا ؛ وجود فى الواقع الاجتماعى . إنهم يُريدون " إسلاماً " أميركياً أو صهيونياً أو ماركسياً حسب رغبة القوى الخارجية التى يدينون لها بالولاء والفكر . وإذا قيل لهم إنهم يُطالبون بحرية التعبير وحق الناس فى التعبير عن أفكارهم وعقائدهم ، ومن حق المسلمين أن يُعبّروا عن ذاتهم ودينهم ، وصفوا ذلك بأنه وصاية على الناس ، واحتكار للحقيقة المطلقة ، وردّة إلى الوراء ، ورجعية وتخلف وظلامية .. إلى غير ذلك من النعوت القبيحة التى يُطلقونها على الإسلام والمسلمين .. فهم يرون أنفسهم الذين يملكون العقل والاستنارة والتقدم . أما الإسلام فهو بمفهومهم الإظلام ، والمسلمون هم الظلاميون ، وما هجاؤهم الدائم والمستمر للجماعات الإسلامية وعلماء الدين الإسلامى والظواهر الإسلامية المختلفة إلا ترجمة حقيقية عن عدائهم المطلق لكل ماهو إسلامى ، ومع ذلك يتبجحون ويتهمون الناس أنها تكفرهم ، وأن كل مسلم صار " مكفراتيا " ، وأن الثقافة الإسلامية لا تملك غير التكفير والتحريض على القتل .

وفى المقابل فهم لا يرون فى حصار الإسلام وملاحقة المسلمين ، وإلقاء ثلاثين ألفاً فى المعتقلات الوحشية طوال ربع قرن وحرمان المُتدينين من الوظائف

الأساسية فى الجيش والشرطة والجامعة والتعليم العام والثقافة والنوادى الرياضية والنقابات المهنية والصحافة والبنوك و ...

لا يرون فى ذلك مصادرة لحق من حقوق المواطنة أو حقوق الإنسان ، ولا يجدون غضاضة فى تجديد حبس المعتقلين الإسلاميين وتقديمهم لمحاكمات استثنائية، مع أنهم لم يسرقوا ولم يقتلوا ولم يختلسوا أموال البنوك ، ولم يحتكروا الحديد والأسمنت والخشب ، ولا ينزعجون لقوانين الطوارئ والأحكام العرفية .. هذا كله وغيره لا يعنى " الطليعة " التى فاخر الوزير الفنان بأنه أدخلها " الحظيرة " ولا أدرى بم يقصد معاليه بالحظيرة – أقصد أى نوع من الحظائر التى يعرفها الناس ؟؟

إن علماء الإسلام ليسوا أوصياء على الإسلام يا مُثقفى الحظيرة ، ولكن من واجبهم أن يُبينوه للناس ويشرحوه كما تعلموه من القرآن الكريم والسنة وإجماع الأمة .. مثلهم فى ذلك مثل غيرهم من أصحاب المهن الأخرى . وإذا كان الإسلام علاقة وثيقة بين العبد وربه كما يقول بيانكم " الحظائرى " فمن واجب علماء الدين أن ينهضوا بواجبهم ، وخاصة إذا تطوع السادة اليساريون المتأمركون وأشباههم من مثقفى الحظيرة بتفسير الإسلام تفسيراً خاطئاً أو مغرضاً .

لقد قلت فيما مضى من مقالات حول تصريحات الوزير التى جعلت الحجاب ردّة إلى الوراء ، إن المسألة ليست الوزير ، وليست تصريحاته ، ولكنها بالونة " اختبار " لتمرير قوانين وأشياء معادية للشعب البائس المسكين من جانب النظام البوليسى الفاشى الذى يؤيده مثقفو الحظيرة ، ويستمتعون بخيراته وغنائمه وأنفاله .

وبالفعل فقد ارتفعت الأسعار فى ظل أزمة الحجاب ارتفاعاً فاحشاً ؛ حتى وصلت الخضروات إلى أسعار غير مسبوقة : الطماطم ٦ جنيهات ، البصل ٥ جنيهات ، الثوم ٧ جنيهات ، البطاطس ٣ جنيهات ، الخيار ٥ جنيهات ، الأرز ٣ جنيهات .. وانخفض سعر القطن أكثر من ٤٠٠ جنيه بالنسبة للفلاحين الفقراء ، ورفع تجار الحديد من أركان السلطة سعر الطن فى المقابل ٥٠٠ جنيه زيادة على سعره الأصلى حتى وصل إلى ٣٢٠٠جنيه ، كما وصل سعر الخشب إلى ١٩٠٠جنيه ، وقس على ذلك أصنافاً كثيرة ، فضلاً عما يُحاك فى المجال التشريعى للمزيد من تقييد حرية الشعب وقهره وإذلاله وإخضاعه للحكم المُطلق من خلال واجهة ديكورية مزيفة ، تقول للسذج إنها ديمقراطية .. أو أزهى أنواع الديمقراطية ..

ولكن المرعب حقا فى موقف المثقفين الحظائريين ، هو تخويف الناس من الإسلام مثلما كانوا يُخيفونهم من قبل بالرأسمالية ، أو الإمبريالية ويرون فيها قهراً للعمال والكادحين وزيادة فى تسلّط الأغنياء والموسرين ، واستنزافاً لموارد الشعوب والمستعمرات .. اليوم يرون الإسلام معادياً للحرية والبهجة والفرح والنور ..أما الدولة البوليسية الفاشية ، فهى رمز كل خير ، ومصدر كل عطاء ، ومنبع كل ثروة ، ولذا يخدمونها بكل ما ملكت أيديهم ، ويُهدّدون الخطر الذى

يُهدّدها – من وجهة نظرها – وهو الإسلام ، الذى يرسى قيم العدل والمساواة والشورى ، ويقطع أيدى اللصوص الكبار !

مثقفو الحظيرة – مع أن معظمهم من الموظفين فى " تكية الوزير " التى تُسمّى وزارة الثقافة – يؤيدون الوزير ويصمون الإسلام بالإظلام ، ويستمتعون بخيرات التكية ، ولو كان بعضهم لا علاقة له بمفهوم الثقافة ومضمونها ، ولأن الوزير وجد ١١٢ مثقفاً – كما يسمونهم – يصدرون بياناً يؤيده ضد " فوبيا الإسلام " ، فقد أصدر ٢٧٠ مثقفاً حقيقياً معظمهم أساتذة جامعيون بياناً آخر يطلبون إقالة الوزير لأنه تجاوز حدوده ومع ذلك لم نجد صدى لهذا البيان فى أجهزة الثقافة والإعلام ، والسبب بسيط جداً ، وهو أن المثقفين خارج الحظيرة لا يحق لهم أن يكون لهم وجود فى هذه الأجهزة . فالحظيرة هى جواز المرور إلى سماع صوتك إذا أردت أن يسمعك الناس . وإلا فإنك فى هذه الحال ستعانى ما يُعرف ب " الإقصاء " و " الحرمان " من كل شئ : النشر ، المشاركة ، التفرغ ، المهارج ، المحاضرات ، الندوات ، المعارض ، الأكاديمية ، الجماهيرية ...... الحظيرة ... ويالها من حظيرة !

***

ميليشيا الإخوان .. وميليشيات السلطة !

قال مقدم برامج في إحدى القنوات التلفزية الخاصة ؛ إنه لم ينم الليل بسبب المشهد الذي رآه في جامعة الأزهر ، حيث قدم بعض الطلاب عرضا خاصا لألعاب الكاراتيه والكونغ فو ، مع ارتداء ملابس الملثمين وتعصيب رءوسهم بعصابات مكتوب عليها " صامدون " متشبهين برجال المقاومة الباسلة في فلسطين المحتلة ؛ الذين يواجهون العدو النازي اليهودي !

مقدم البرامج المذكور خشي على مصر ومستقبلها من هؤلاء " الانتحاريين " الجدد الذين يستعرضون قوتهم أمام مكاتب إدارة الجامعة في تحد صارخ للنظام والقانون ، وهو ما يشير – وفقا لمفهوم المذيع المرهف الحس- بمستقبل أسود ، يقوم به هؤلاء الشباب في ذبح المصريين وقتلهم بوصفهم أعداء للإسلام .

بالطبع ، فإن مقدم البرامج ينام الليل مطمئنا هادئ البال ، وهو يرى آلاف الجنود من الأمن المركزي ، وهم يرتدون الخوذات الحديدية ، وينتطقون أحزمة القنابل الغازية ، ويشهرون المدافع الرشاشة في وجوه الجماهير البائسة اليائسة التي يخرج بعض أفرادها للتظاهر على سلم نقابة الصحفيين أو أمام نقابة المحامين ، أو أمام دار القضاء العالي تأييدا لمطالب عادلة ، أو دعما للقضاة الذين يطلبون استقلال القضاء ، أو الذين يقولون " كفاية " للظلم والعدوان على حرية البشر وكرامة الناس !

مقدم البرامج المذكور ، مرهف الحس والشعور ، لا يخاف على مستقبل مصر من الغزاة المحليين الذين استولوا على السلطة والثروة ، وصنعوا الدستور والقانون على هواهم ، ثم وزعوا الغنائم على أتباعهم وأنصارهم ، وحكموا بالنفي والإقصاء والاستئصال على كل من يخالفهم أو يعارضهم ، بل صنعوا جيشا عرمرما ، من الضباط والجنود يزيد عددهم على المليون رجل ، ويستأثرون بأكثر من خمس الميزانية المصرية لقمع الشعب البائس المسكين ، وقهره وإذلاله ، وحكمه بالحديد والنار ، ورمى الآلاف من أبنائه في السجون والمعتقلات إلى أجل غير مسمى ، مع أنهم لم يقتلوا ولم يسرقوا ولم يرتشوا ، ولم يبيعوا كرامة الوطن ، أو يتركوها تحت أقدام الغزاة اليهود أو الصليبيين!

من حق مقدم البرامج ألا ينام ، بسبب ما رآه ، ومن حق أمثاله من كتاب لاظوغلي واليسار المتأمرك وخصوم الإسلام أن يخافوا من المستقبل ليس بسبب هؤلاء الأولاد الذين ظلمتهم السلطة والجامعة وفصلت أعدادا منهم ، وضيعت مستقبل بعضهم ، ولكن يجب على مقدم البرامج وأمثاله أن يخافوا من شيء آخر تلوح نذره في الأفق تحت الرماد ، وهو الانفجار القادم الذي لا يعرف أحد كيف سيكون ، ومن أين يبدأ ، وعلى أية صورة سينتهي .. هذا الانفجار القادم سيكون فاجعا بكل المقاييس ، لأن الشعب المظلوم قد وصلت به الأحوال إلى حضيض غير مسبوق ، وبلغ القهر الواقع عليه مدى لم يسبق له مثيل ، ويظن المعنيون بالأمر وأبواقهم المأجورة أن صمت الشعب وعدم مبالاته وانصرافه إلى الأمور اليومية والهامشية ؛ يعنى أن كل شيء مستقر وأن الأمور على ما يرام ، فالأمر

ليس كما يحلمون أو يعتقدون . إن الظروف التي تمر بها أغلبية الناس في هذا الوطن وصلت تحت خط الفقر ، في الوقت الذي تمرح فيه القلة من بارونات السلطة والثروة ، وترقص وتغني على أشلاء الشعب ، وتصادر حريته وكرامته وإنسانيته في زهو وإعجاب بالنفس غير مسبوق .

كنت أتمنى من مقدم البرامج المرهف الحس أن يقدر للطلاب موقفهم المتمرد على الظلم والطغيان والنفاق ، وأن يرى في اعتذارهم الذي وجهوه إلى الأمة – مع الواقع المأساوي – الذي يعيشونه في ظل التغوّل البوليسي والانبطاح الإداري في الجامعة – نوعا من الرقي السلوكي الذي يحسب لهؤلاء الطلاب ، في الوقت نفسه فإن ميليشيات السلطة لم تعتذر أبدا وهي تسحق القضاة بجلاديها الغلاظ القساة ، وتضربهم بالأحذية على وجوههم ، وتسحلهم في الشوارع ، وتقودهم مقيدي الأيدي في سيارات الترحيلات أمام كاميرات العالم التلفزيونية ، وعبر أثير الإذاعات الدولية ، فضلا عن قيام هذه الميليشيات بهتك عرض الصحفيات والنساء المارات في الشوارع! وضرب المواطنين وقتل خمسة عشر منهم في أثناء الانتخابات التشريعية الماضية ، مع منع الناس من الوصول إلى مقار اللجان الانتخابية .. لم تعتذر ميليشيات الحكومة ولا جلادوها عما فعلوه ، واكتفوا بتجنيد " كتاب لاظوغلي " ليردوا على المجتمع الدولي بكلام ماسخ وسخيف لم ينطل على أحد !

كنت أتمنى من مقدم البرامج المرهف الحس والشعور ، هو وأمثاله ، أن يناقشوا لماذا يلجأ الناس في البلد التعس المسمى مصر إلى تأسيس منظمات أو اتحادات أو نقابات موازية لنقابات واتحادات ومنظمات السلطة ، ولماذا لا تقوم أحزاب حقيقية على أرض الوطن البائس بدلا من هذه الأحزاب الكرتونية التي تتصارع من أجل الدعم الحكومي ، بل يطلب بعضهم زيادته ، حتى يستطيع أن يؤيد النظام البوليسي الفاشي بقوة أكثر وتصفيق أكثر وهتاف أكثر ، ويوافق على التوريث وبقاء الطوارئ وإذلال الشعب بالقوانين المقيدة للحريات .

هناك أسباب للإرهاب وأسباب للفشل السياسي ، وأسباب للتخلف الاقتصادي ، وأسباب للمشكلات الاجتماعية ، وذبح الأطفال بعد هتك عرضهم ، وظهور التوربيني وأمثاله ، وهو ما يجب على مقدم البرامج المرهف الحس والشعور أن يناقشه في جذوره الحقيقية ، وليس بالكلام الإنشائي الذي تحترفه مجموعة من مثقفي الحظيرة وكتاب لاظوغلي واليسار المتأمرك وخصوم الإسلام .

ثم ليته يسأل نفسه عن ميليشيا الإخوان التي هي "لعب عيال" ، لأن النظام يعرف دبة النملة بالنسبة لكل من يعارضونه ، وميليشيات الحكومة التي تخصصت في قهر الشعب والتدخل في أدق الشئون الحياتية بدءا من قبول الطلاب في الكليات العسكرية والبوليسية حتى عضوية الأندية الرياضية والمؤسسات النقابية.. ويجيب من أعماقه وضميره أيهما أخطر : ميليشيا لعب العيال أم ميليشيات النظام الظالم ؟

إن الغزاة النازيين اليهود أعلنوا مؤخرا بصراحة أنهم يملكون أسلحة نووية ، ونحن ما زلنا مشغولين باعتقال الملتحين والمنتمين للتيار الإسلامي وملاحقتهم ،

لأن هذا – فيما تعده ميليشيات النظام البوليسي الفاشي – هو الإنجاز الأكبر ، الذي يحقق النصر والاستقلال والاستقرار ! والرضا السامي اليهودي الصليبي الأميركي !

ميليشيات السلطة لا تؤرق السادة مقدمي البرامج التلفزية وكتاب لاظوغلي ، كما لا تشغلهم قضايا البناء والتعمير والتحرير ، ولكن يشغلهم الانتصار على الشعب المطحون الذي يشترى البصل بخمسة جنيهات !

***

بيّض الله أيّامك يا جنرال ؟!

معالي الوزير "زقزوق" زعلان من أئمة المساجد الذين "سوّدوا " أيامنا بذكر جهنم والجحيم والقبر وعذابه في خطبهم ومواعظهم ، ولم يفتحوا للناس بابا للأمل في النجاة من النار والفوز بالجنة ! والوزير معه حق في قوله ، ولكنه حق ناقص ؛ لم يكمله معالي الوزير ، وهو السبب الذي جعل الأئمة المساكين " يسوّدون" أيامنا ، ولا يبيّضونها . بالتأكيد فإن معاليه يعرف السبب جيدا ولا يريد أن يقوله . وأسمح لنفسي أن أقوله نيابة عنه ليكون الناس على بيّنة من أمرهم ، ولكي لا يأخذ السادة كتاب لاظوغلي والمارينز العرب واليسار المتأمرك وخصوم الإسلام من كلام معاليه ذريعة فيطلبون إليه أن يخطو خطوة أخرى بعد تأميمه للمساجد في مصر كلها ؛ حتى الزوايا الصغيرة ، وبسط هيمنة النظام البوليسي الفاشي عليها ، فيأمر بإغلاق المساجد إغلاقا كاملا شاملا – كما فعل "لينين"في الاتحاد السوفيتي وتحويلها إلى مسارح للثقافة الجماهيرية أو دور للسينما أو محلات للترفيه ؛ فلا يذكر فيها كلام عن جهنم أو الجحيم أو القبر أو النار .. ولا تسودّ أيام الجماهير السعداء بالرخاء ورخص الأسعار وتقدم العلاج وتوفر المساكن والمواصلات واتساع الشوارع والطرقات ، فضلا عن الاستمتاع بالحرية والكرامة والديمقراطية والعدل والمساواة ..!

بيض الله أيامك يا صاحب المعالي .. فقد نسيت أن الدولة صارت تعتنق النظام الاقتصادي الحر ، أي الذي يقوم فيه الأفراد بتمويل الأنشطة المختلفة : إنتاجية ، خدمية ، لوجستية ، دعوية ، ثقافية ، زراعية ،صناعية ، تجارية ، أهلية ، اجتماعية ، رياضية ، أمنية .. ولكنك مع وزير الدعاية (تلفزة ، إذاعة ، صحافة) ووزير الحجاب – أقصد الثقافة – تصرّون على اعتناق النظام الشمولي الذي يؤمن بالاشتراكية العلمية التي تعتمد على التأميم والتنفيذ وفقا لآليات بوليسية فاشية ، وترفضون أن يقترب أحد من الكفاءات الفاعلة المبدعة من وزاراتكم .. لا العلم ولا الفكر ولا التفوق ولا الإبداع تؤهل أصحابها للاقتراب من مملكاتكم المقدسة ، ولكن المؤهل الأول والأخير هو رضا "الأمن " - أي البوليس- يجعل الأمّي إماما وخطيبا ومفكرا وإعلاميا .. وأظنك يا معالي الوزير- الذي أكسبه هذا الوضع لقب "جنرال"- تذكر أن من لا يحمل تصريح " الأمن " لا يجوز له أن يصعد المنبر ويخطب في الناس لصلاة الجمعة ، ولو كان مثلك يحمل درجة "أستاذ" جامعي تسبقها الدكتوراه والماجستير والليسانس، وثقافة علمية بعمر الزمان ، وبعثة إلى بلاد " التنوير " تصنع وعيا بثقافة الآخر وخطابه ومفاهيمه!

ثم إنك يا معالي الجنرال- بيض الله أيامك – تعلم أن الأوامر البوليسية التي تصدرها للأئمة لم تبق لهم شيئا يقولونه ، غير الكلام عن الموت والآخرة وسقر ، وما أدراك ما سقر؟ هل تعتقد مثلا أنهم يستطيعون الكلام عن فساد الحزب الوطني وأعيانه وضرورة مكافحته لتحلو الحياة وتبتسم الدنيا ؟ هل يمكنهم مثلا أن يتناولوا صاحب عبارة الموت الذي خلف أكثر من ألف غريق فأدخل الحزن والقهر والهم والغم على سبعين مليونا من المصريين ،ويطلبون من صاحب

العبارة وأمثاله الخوف من الله حتى تزدهر الدنيا وتخضر ؟ هل يمكنهم مثلا أن يتحدثوا عن العدل والشورى وكرامة الإنسان والحرية ، في مقابل الظلم والاستبداد والتعذيب وتقييد البشر بالأحكام العرفية والقوة الغشوم ؟هل يمكنهم مثلا أن يتكلموا عن فساد وزارة المواصلات التي تترك قطاراتها تتصادم وتقتل العشرات ، وتسيل دماءهم وكأنهم مجرد صراصير في مراحيض مسجد أممه وزير الأوقاف ، ولا يجد من ينظفه ولا يهتم به؟

هل يمكنهم مثلا أن يناقشوا الهجوم الرخيص الذي يقوم به " مثقفو الحظيرة " ممن يسمون أنفسهم " مستنيرين" ضد الإسلام والمسلمين ؛ إذا كان وزيرهم نفسه ؛ يحاول أن يبدو " مستنيرا ، وتقدميا " ؛ فيطرد مرشدة إسلامية منقبة من لقائه بالمرشدات ؛إذا لم تخلع النقاب ، لأنه لا يؤمن به ، ويراه أمرا غير لائق ، وهامشيا ، وهو ما يسرّ كتاب " التنوير " ويسعدهم ، ويجعلهم يصفون معاليه ب " الوزير المستنير " ، مع أن معاليه يعلم أن التنوير كما درسه في " ألمانيا " الشقيقة ؛ يعني عدم الاعتراف بما وراء الواقع أو التجربة أو المادة ، أي عدم الإيمان بالغيب أو الوحي أو الإله !

وبالطبع ، فإن معالي الوزير – بيض الله أيامه – يستمتع بلقب الوزير المستنير ، على العكس من أولئك الأئمة " الظلاميين " الذين يسودون أيامه وأيامنا ، ويعلن بالفم الملآن أن النقاب مسألة هامشية .. ولن نسأله لماذا لم تسع سماحته المرأة المنقبة ، وهو يعلم أن النقاب أولا حرية شخصية ، وثانيا فإنه لا يحول بين المرأة وبين النساء من جنسها حين ترشدهم دينيا، لأن النساء فيما بينهن لا يتنقبن ، وثالثا فهو يعلم أن هناك شيئا اسمه الورع ، ورابعا فهو يعلم أيضا ، أن المرأة إذا خافت الفتنة أو إظهار القبح لا ضير عليها أن تتنقب حتى لا تثير الناس أو تعرّض نفسها للهمز واللمز من الرجال أو النساء .

فضيلة الدكتور الوزير مشغول بالأمور الإستراتيجية ، وليس الهامشية ، ومنها مطالبته بفرض "كوته " للنصارى في المجالس النيابية والمحلية حتى يشاركوا إخوانهم المسلمين في بناء المجتمع .. وفضيلته يعلم أن الدول المتقدمة المستنيرة ، وفي مقدمتها ألمانيا الشقيقة ؛ لا تفرض "كوته " للمسلمين هناك ، وعددهم يزيد عن عدد النصارى في مصر ، وليست لديها حساسية من إقامة أحزاب على أساس ديني ، والحزب الديمقراطي المسيحي ، الذي تقوده الست " ميركل " أشد اعتزازا بالمسيحية من الأحزاب الدينية اليهودية المناظرة في الكيان النازي اليهودي الغاصب في فلسطين المحتلة !

ليس لدي سرّ لمعرفة اهتمام معالي الوزير ب" الكوتة " ، ولعله يعلم أن مصر المسلمة (كل مواطنيها مسلمون بالعقيدة أو الحضارة) من أسمح دول الأرض ؛ حين جعلت أكثر من رئيس وزراء غير مسلم (نوبار الأرمني – بطرس الجدّ)يقود حكومتها ويصنع سياستها ، ولم تجد غضاضة على مدى تاريخها في تعيين وزراء نصارى ويهودا في أهم وزاراتها ، بل إنها في عصرنا الراهن لم تجد حرجا في أن يكون "الأنبا شنودة "رئيسا موازيا يقود دولة للنصارى داخل الدولة القبطية الكبرى التي تضم كل سكان مصر (مسلمين وغيرهم).. وهو أي الأنبا

يحمي رعاياه عند اللزوم ، وعندما ضرب الشباب النصراني رجال البوليس المصري مثلا وأحدثوا بهم إصابات بالغة في مظاهرات الكنيسة المعروفة ؛ وقبض على بعضهم ، فإن "الأنبا " اعتكف " حتى يتم الإفراج عنهم .. وبالفعل تم الإفراج ، واعتكف " حين أسلمت وفاء قسطنطين وأخريات ، ولم ينه اعتكافه حتى تم تسليمهن له ليعاقبهن بمعرفته ، واعتكف .. حين .. وحين .. ولكن معاليك مع شيخك ، ورئيس الجامعة الطيب ، لم تعتكفوا من أجل الأولاد الذين لعبوا الكاراتيه والكونغ فو ،وعددتموهم ميليشيا ، وطالبتم برقابهم ورقاب آبائهم والمنتمين إليهم ، وكي تكونوا "مستنيرين " حقا وصدقا قررتم تنقية المناهج في الجامعة (من إيه يا ترى؟)، ومراقبة الأساتذة ، وشد آذان كل من يخالف أوامركم (المتسامحة) التي تقبل (الآخر) وتتسامح معه !

بيّض الله أيامك يا جنرال؛ فقد أوشكت مساحة المقال على الانتهاء ، وكنت أود أن أثرثر معك بوصفك مستنيرا يرضى عنه مثقفو الحظيرة (أي مثقفي وزارة الثقافة وأنصار وزيرها الذي يعمل بجد لتغريب الوطن ، وإحلال ثقافة بديلة للثقافة الإسلامية) .. فمعذرة يا صاحب المعالي !

***

فضيلة الجنرال.. وفقه الأولويات!

من المؤكد أن فضيلةالجنرال زقزوق يملك قدرة جيدة على الكلام والجدل، ومحاولة الإقناع بما يقول . وقد خرج علينا مؤخرا بمقال يتحدث فيه عن ترتيب الأولويات ، ويحمل على الذين يحجون ويعتمرون مرات عديدة ، والذين يبنون المساجد والمعاهد الدينية تقربا إلى الله بوصف ذلك من الهامشيات التي تسبق الضرورات مثل التكافل الاجتماعي ، وتوفير المواردالمالية من العملات الصعبة للدولة. فمصر بها مائة ألف مسجد وثمانية آلاف معهد ديني ، وليست في حاجة إلى مزيد ، ولكن المطلوب هو حماية المحرومين من الوقوع فريسة في يد من لا يرحم بتجنيدهم لأغراض دنيئة لنشر الفوضى والتطرف والإرهاب ، وتدمير المجتمع بالمخدرات ، والأعمال المنافية للآداب!

ولاشك أن معاليه يحتاج في هذا السياق أن يطبق مايقول على نفسه أولا ، قبل أن يقوله للناس ليقتدوا به وينفذوا رؤيته على أرض الواقع .. أما وهو لايطبق شيئا مما يقول على نفسه ؛ فلن يجد صدى لكلامه ، ولن تسمع أذن ممايقوله شيئا .

ومنذ عشرات السنين ؛تكلم الدعاة والفقهاء عن فقه الأولويات الذي يسبق الثانويات ، وفقه الضرورات الذي يأتي قبل فقه الهامشيات ، ولكن الواقع القائم لم يستجب لهذا الكلام ،لأن المسألة بها ظروف وملابسات على قدر كبير من العداء للإسلام والمسلمين .

وأول أعداء الإسلام هو الاستبداد الذي يجعل الإسلام تهمة وجريمة وإرهابا وخروجا على الإنسانية ، وما أكثرالذين سجنوا واعتقلوا وعذّبوا بسبب تمسكهم بالإسلام دينا وعقيدة وشريعة ، وما أكثر الذين فقدوا أوراحهم وأعمارهم وأموالهم بسبب انتمائهم إلى الإسلام ؛ وما أكثرالذين حوربوا ، وعتّم عليهم ، وتم إقصاؤهم لكونهم لا يقبلون بغير الإسلام بديلا ..

وللتمثيل لا الحصر ، أقول لفضيلة الجنرال زقزوق الذي علق عليه الناس يوما بعض الأمل في خدمة الأسلام والمسلمين ففجعهم بوقوفه في صف الاستبداد وأعوانه ؛ إن مصر المسلمة ،شهدت على مدي نصف قرن أو يزيد ما يلى :

- إقصاء للإسلام وقيمه بتدمير الأزهر ، وتلويث الإعلام ، وتغريب التعليم .
- صاركل من يؤمن بالإسلام منهجا للحياة والمستقبل يوضع في خانة (مطلوب!).
- صار الخطاب الديني الأميركي هو البديل العملى للإسلام ،ومن يخرج عليه فهو إرهابي يجب سحقه وتدميره .

ومن اللافت أن يدعو معالى الجنرال إلى معالجة الخلل في ترتيبالأولويات ، وهو أول من يمارس هذا الخلل ، ويتعامل بالمقلوب في ترتيب الهامشيات والضرورات ، وسأضرب مثالا على ذلك تمثل في في إصراره الغريب والمريب على توحيد الأذان في مدينة القاهرة ، وإنفاق أموال المسلمين (الأوقاف) على

أمر لا يمثل ضرورة ملحة ، مع أن هذه الأموال يمكن إنفاقها على " المحرومين " ورعاية الفقراء ،أو الدفاع عن الإسلام في مواجهة الهجمة الصليبية العاتية التي لم تبق للإسلام فضيلة واحدة ، وتدعو الناس صراحة إلى التخلى عن دينهم وعقيدتهم باسم التنوير – الذي يعني في مفهومه الغربي الإلحاد وعدم الإيمان بما وراء الطبيعة – أو التقدمية التي تعني الشيوعية ، أو التحرر الذي يعني الإباحية بمفهوم الغرب طبعا !

هل توحيد الأذان يمثل أولوية لها أهمية على رعاية المحرومين والفقراء والدفاع عن الإسلام ؟

لنفترض أن القاهرة كلها لا يوجد بها غير مؤذن واحد في مسجد الكخيا .. ألا يكفي شرعا لإعلام من حول المسجد في القاهرة كلها بموعد الصلاة ودخولها ؟ هل تعدم القاهرة ذات الملايين العشرين في النهار ؛ أن تجد شخصا متطوعا في كل مسجد يقيم الأذان حسبة لله تعالى ، بدلا من "الريسيفيرات " وأجهزة الاتصال مع الإذاعات والتلفزيونات ؟

هل تجسدت مشكلات الإسلام والمسلمين في قضية واحدةهي توحيد الأذان ؟ أو إن المسألة لها وجه آخر؛ يخدم الاستبداد ، ويؤصل للخطاب الديني الأميركي الذي تفرضه أميركا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة ؟ثم أليس من الواجب على مولانا فضيلة الجنرال المنزعج من مائة ألف مسجد وثمانية آلاف معهد ديني ،أن يأخذ بمنهج الخطاب الديني الأميركي الذي يتبناه فضيلته، ويسيرعلى خطى "أصحاب البلد" الذين يرفعون شعار " كنيسة لكل مواطن" ، فيكون هناك شعار " مسجد لكل ألف مواطن " على الأقل؟

إن أصحاب الكنائس يا فضيلة الجنرال يفتحونها ليل نهار، أربعا وعشرين ساعة ،ويمارسون فيها الأنشطة الدينية والثقافية والفكرية ، ولايستطيع أحد أن يعترض على أي نشاط منها حتى لو كان دعوة إلى نفي اللغة العربية ،أو طردالمسلمين الغزاة من مصر ، أوتعميق الإيمان بأن أصحاب الكنائس هم أصحاب البلد الأصليون الذين يجب أن يتحرروا من المسلمين الغزاة !

ولعلك ياصاحب المعالى تطالع مثلا جريدة الكنيسة " وطني "في عددهاالصادر بتاريخ الأحد ٢٠٠٧/١/٢١م = ١٣طوبة١٧٢٣ش =٢ محرم ١٤٢٨هـ- لترى على صفحتهاالأخيرة برنامجا مطولا باسم " أسبوع الصلاة من أجل وحدة المسيحيين " يبدأ من ٢٠٠٧/١/٢٢ حتى ٢٠٠٧/١/٣١، وتتوزع فعالياته على جميع الكنائس التي تصلى من أجل الوحدة ، وتتنوع موضوعاته ومحاضراته التي تبدأ في وقت واحد هو تمام السابعة مساء ..

هل يستطيع مسجد من المساجد المائة ألف أن يعقد ندوة وعظية دون موافقة (حبايبناالحلوين) ،ولوكان صاحبها في مثل علمك ومركزك وجاهك؟

الضرورة الأهم يافضيلة الجنرال ، هي تحرير الإسلام من قبضة الاستبداد الذي ينفذ الخطاب الديني الأميركي بصرامة غير معهودة ، ويصر على نفى الخطاب الإسلامي الحقيقي ومطاردته ووصمه بكل النعوت البشعة لتنفير الناس

من الإسلام والمسلمين ،وهو مايجعلهم على غير وعي بالأولويات والثانويات ،بل يدفع الكثيرين إلى تدمير المجتمع بالمخدرات والأعمال المنافية للآداب!

لوأنك ياصاحب المعالى تأملت الأمر جيدا لعرفت أن الخطاب الديني الأميركي يحرم الناس من عمل الخيرات ، والدخول في ميدان التكافل الاجتماعي ،لأنه يعدهم " أصوليين " أي متطرفين ،أي إرهابيين ، أي مجرمين ، أي لا يحق لهم الوجود فضلا عن التعبير عن أنفسهم ،لذا يبحث كثير منهم عن إنفاق ماله في الحج والعمرة حتي لايتهم بتمويل تنظيمات غير مشروعة ،أو تمويل الإرهاب ،وأظنك تعلم يا فضيلة الجنرل ؛ أن أميركا فرضت على دولة إسلامية لها مكانتها أن تحل جمعية خيرية كبيرة كانت تعالج الفقر والجوع في البلاد العربية وإفريقية وآسيا،بعد أن اتهموها كذبا بتمويل الإرهاب!

وكثيرا ما تخرج الأبواق الموالية للاستبداد والخطاب الديني الأميركي باتهام من يقيمون المستوصفات المجانية للفقراء أو تقديم المساعدات للمحتاجين والمعدمين ،بأنهم إرهابيون تأتيهم الأموال من الخارج (!) لتجنيد هؤلاء من أجل الوصول إلى الحكم !

ألاقاتل الله الاستبداد وأعوانه!

هناك من الضرورات – يامعالى الجنرال – الكثير ممايتعلق بك وبوزارتك ،وفى مقدمته استرداد الأوقاف المنهوبة من جانب الكبار، وليس البسطاء الذين أقاموابيوتا متواضعة على أرض الأوقاف تحمى لحمهم من البرد والقيظ ،أو راحوا يستغلون مساحات زراعية محدودة يتعيشون عليها..هناك أوقاف ضائعة يجب استردادها ،وهناك أوقاف يجب إعادتها إلى الأزهر ليؤدي رسالته كما ينبغي مثلما أعيدت أوقاف النصارى ،وهناك أموال يجب توفيرها بدلامن الإسراف ، وهناك واجبات على وزارة الأوقاف يجب أن تقوم بها وخاصة في زماننا ، ليس أهمها الدعوة إلى عدم تكرار الحج والعمرة أوعدم بناء المساجد والمعاهد .. هذه الواجبات أنت أعرف الناس بها، ولكنك فيما يبدولاتقدر على أدائها بسبب الاستبداد اللعين ،والخطاب الدينى الأميركي المهين .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

***

تجليات الفضيحة الإعلامية!

لم أرغب لحظة ما فى الدخول إلى الجدل الذى دار أو يدور حول البرنامج الفضائحى الذى بثته إحدى القنوات التلفزيونية بمعرفة مذيعة شهيرة ، وتناولت فيه قضية الدعارة من خلال بعض الفتيات اللائى قيل إنهن قمن بتمثيل دور العاهرات نظير مبلغ معين وتم تلقينهن الكلام المطلوب قوله فى الرد على أسئلة المذيعة المذكورة .

لقد كان رد الفعل على المستوى الشعبى العام رافضاً للبرنامج ، ومنهج المذيعة فى معالجة القضية ، ووصل الأمر إلى القضاء من خلال بلاغات إلى النيابة العامة ، تقدم بها بعض المحامين والفتيات المعنيات بالأمر ، وصدر أمر قضائى بالتحفظ على بعض أشرطة البرنامج التى أُذيعت والتى لم تذع بعد ، وأدلى من له صلة بالأمر بأقواله أمام النائب العام ؛ وما زال الأمر معروضاً على القضاء .

كانت هناك شريحة أخرى فى المجتمع ، تدافع عن المجتمع والمذيعة بحرارة ملحوظة ، وشملت هذه الشريحة من يؤمنون بالثقافة الغربية منهجاً للفكر والسلوك ، ويسعون إلى فرض هذه الثقافة فرضاً على أمتنا ، حتى لو صادموا المجتمع ، واعتدوا على قيمه ومثله . وقد رأوا فى الفضيحة الإعلامية المتعلقة بالبرنامج ومذيعته فرصة مناسبة للإعلان عن مواقفهم وتأكيدها .

المسألة فى نهاية الأمر ، صراع بين ثقافتين ومنهجين ومجتمعين ، والطرف الأول الذى يمثل الأغلبية الساحقة من الشعب ، ضعيف ومستباح بحكم ظروف متعدّدة ، والطرف الثانى يُمثّل الأقلية التى تملك القوة والسيطرة والهيمنة والمال والتأييد الأجنبى .

الشعار الذى تدور حوله الفضيحة الإعلامية هو " حرية التعبير" ، وهو شعار جميل ، وفضفاض ، ويُمثل مرتكزاً يعتمد عليه الطرف الأقوى المُهيمن ، بدعوى معالجة مشكلات المجتمع وتعريضها للضوء حتى يمكن معرفة الدواء المطلوب .

ومصطلح " الحرية " من أهم المصطلحات التى تدفع الشعوب ثمناً غالياً من أجل تحقيقها ، يتضمن هذا الثمن دماءً وأموالاً وقلقا وعذابات وآلاماً قد تستمر عشرات السنين ..

الحرية هى النعمة الكبرى التى يسعى إليها البشر جميعاً ، ويُكابدون من أجلها مكابدات لا تنتهى ولا تتوقف . وهى بهذه الصورة تمثل المعنى الذى يجعل الإنسان قادراً على الحياة دون قيود أو سدود تحدّ من عمله أو تفكيره أو نشاطه ، أو تحرمه نعمة الاستمتاع بالحياة وفقاً لثقافته التى يؤمن بها ، ومنهجه الذى يعتنقه ، دون أن يتعارض ذلك مع حقوق الآخرين وطرائق حياتهم .

ولا شك أن العلاقة بين الأمم القوية الضعيفة تسير فى اتجاهين يصبّان فى مصلحة الأقوياء ، فالقوة لها سحرها الذى يجعل الضعفاء يُقلّدون الأقوياء فى السلوك والمظاهر والعلاقات بحكم أن الضعفاء يريدون أن يمتلكوا أسباب القوة

ليخرجوا من إسار الضعف والهوان .. فالتقليد هنا أمر وارد وطبيعى ، وأشار إليه ابن خلدون فى مقدمته ، وهو الاتجاه الأول الذى يصب فى مصلحة الأقوياء ، أما الاتجاه الثانى الذى يصب فى هذه المصلحة أيضا فهو رغبة الأقوياء أنفسهم فى تطويع الضعفاء لمنهجهم وتصوّراتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ليكونوا تبعاً لهم وعونا.

لقد ابتليت أمتنا بالضعف والهوان والإذلال على يد الغرب الاستعمارى المتوحش ، وهذا الابتلاء خلق نخبة تؤمن بالتغريب وتعمل له وتدافع عنه باسم الحرية ، فى الوقت الذى لا تتمتع فيه الأمة بأى قدر من الحرية الحقيقية – أعنى حرية العمل والإنتاج والإبداع والتفكير ، وما يُصاحب هذه الحرية من حق الأمان والكرامة والمساواة .

إن هذه النخبة التى تخدم الغرب الاستعمارى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، تفهم الحرية فى إطار جزئى محدود للغاية ، وهو " الإباحية " و " التجديف " والتمرد على دين الأمة .. أما ما عدا ذلك فلا يعنيها ..

مثال بسيط على ذلك يتمثل فى برنامج الفضيحة الإعلامية ، حيث تتحول المفردات والمصطلحات ، والكائنات المشاركة إلى مجرد أدوات لتسويق التغريب بخيره وشرّه بدءًا من الأصوات العالية والقهقهات والألفاظ الهابطة ، إلى السخرية من رمز الدين أو عالم الدين المشارك ، والرقص والعناق بين الرجال والنساء ، وهذه المفردات التجارية الخادمة للتغريب تتجاوز بالبرنامج ، مجرد الفبركة أو الضحك على بعض البنات ليمثلن دور العاهرات اللاتى يكسبن ألوف الجنيهات فى الليلة الواحدة ويحميهن البوليس ، إلى قضية أخطر ، وهى رفض الثقافة الوطنية القومية ، التى تُسمى الثقافة الإسلامية ، وإحلال البديل الثقافى الغربى ، الذى يسمح بالإباحية والعلاقات الآثمة بين الرجل والمرأة ، ويجعل القيمة فى المادة والشكل دون الروح والوجدان .

إيمانى الوثيق بخطورة مثل هذا البرنامج ، ومثله كثير فى قنوات كثيرة ، تكمن فى عملية تزييف الوعى وتسطيحه ، تمهيداً لاقتلاع العمق الثقافى الإسلامى ، الذى أخذ يتداعى أو ينطمس بفعل فساد التعليم والإعلام والثقافة عموماً ، وتفريغها جميعاً من تدريس الثقافة الإسلامية تدريساً حقيقياً والتعريف بها ، وإضاءتها إضاءة فعالة وشاملة .

لقد كانت مساندة هذا البرنامج دليلاً آخر ، على عمق الهوة التى تندفع إليها الأمة بفعل النخبة الموالية للتغريب وتجلياته ، ففى الوقت الذى يُحرم فيه المواطن العربى المسلم من حقه الطبيعى فى المشاركة الفاعلة لبناء أمته ، ويتعرض للقمع البوليسى الفاشى ، ويحاكم – ظلماً – أمام المحاكم العسكرية ، ويختطفه زوار الفجر بلا رحمة ولا شفقة ، مع مصادرة أمواله وممتلكاته وأوراقه ، نجد أن الذين ينتصرون لبرنامج الفضيحة الإعلامية من رموز تجارة الأفلام الإباحية أو ما يقرب منها ، والرافضون للشريعة الإسلامية ومنهجها ، والموالون للغرب الاستعمارى والصهيونية ؛ لا يعبأون بالحرية الحقيقية للمواطن ولا كرامته

الإنسانية .. إنهم مشغولون بالرقص والعرى والعلاقات الآثمة بين الرجل والمرأة والعادة السرية وترقيع غشاء البكارة وختان الذكور وحرية الشواذ المثليين .

إن هذه النخبة المتغرّبة محمية من السلطات البوليسية الفاشية ، ولذا يتحدث أفرادها بثقة شديدة فى النفس ، وبالقدرة على الاستمرار فى منهجهم الفضائحى ، وتهديد من يعارضهم ، وقد قالت المذيعة صاحبة الفضيحة الإعلامية : إن من يعارضونها سوف يندمون ! ولا أعرف تفسيراً لهذا التهديد المبطن ولا كيف سيكون الندم ؟!

لقد وصل مرتّب المذيعة المذكورة كما قالت الصحف خمسة وثلاثين ألف دولار أمريكى أى ما يقرب من مائتى ألف جنيه مصرى فى الشهر ، مما يعنى أنها منذورة لمهمة كبرى هى " تغريب " المواطن المسلم وإخراجه من هويته وعقيدته وتاريخه ، وربما جغرافيته التى سيتساهل فيها ، ويُقدمها – ربما مجاناً – لمن يطلبها ، دون أن تتحرك فى داخله نوازع الغيرة على الوطن أو العقيدة أو المستقبل !

إن الفضيحة الإعلامية تتجاوز مجرد برنامج مفبرك وقصة مفتعلة ومزاعم جوفاء.

***

جنرالات الرعب والهزيمة !

مثقفو الحظيرة مشغولون بإهانة الإسلام وتشويهه ورفضه ، من خلال أحاديثهم الملفقة عما يُسمى بالدولة الدينية التى سيُقيمها الإسلاميون فى مصر ، لو وصلوا إلى الحكم !

وينسى مثقفو الحظيرة ، أن الدولة الدينية كانت فى الغرب الصليبى المتوحش ، حيث كانت الكنيسة تحكم الأمراء والعامة ، وتُعادى العلم وتحرق العلماء ، وتملك حق التبرئة والإدانة من خلال صكوك الغفران والحرمان .. والإسلام ليس فيه كنيسة .

فيه مسجد فقط ، يجتمع فيه الناس لأداء الصلاة ، يتقدمهم شخص بسيط ، قد يكون أفقرهم أو أقلهم منزلة ، وكل مسلم مسئول عن نفسه ، لا أحد يتوسط بينه وبين خالقه " وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا " (الإسراء ١٣-١٤) .

مثقفو الحظيرة ، وبعضهم لا يُصلى ولا يصوم ولا يحج ولا يُعطى الزكاة ، وبعضهم لا يفيق من الخمر ، والبعض الآخر لا يتورع عن اقتراف الفواحش ؛ يجدون فى أنفسهم الجرأة للفتيا فى أمور الإسلام ، والحكم على تشريعاته بعدم الصلاحية فى عصر الذل والهوان والتبعية للأعداء ، مثل ذلك الذى قال : إن حدّ السرقة يمثل الوحشية البربرية ولا يُلائم زماننا ، أو ذلك الذى قال : إن الإسلاميين يذبحون الناس ، ويستبيحون الأموال والأعراض ، على طريقة عادل إمام فى أفلامه عن الإرهاب ، التى لا تقوم على منطق من الفن أو الواقع .

مثقفو الحظيرة تحوّلوا إلى جنرالات ، ويشبهون الجنرالات الذين يحكمون البلد ، ويرسمون خطاها ، ويبثون الرعب فى قلوب الشرفاء ، ويقودون الوطن إلى هزيمة محققة : حضارياً وعسكرياً وإنسانياً .. هؤلاء الجنرالات الذين يشكلون عصب الدولة البوليسية الفاشية ، لم يتوقف وجودهم عند أجهزة الأمن وحدها ، والموانئ والمطارات والأحوال المدنية .. وغيرها ، ولكنهم تسللوا إلى شرايين المجتمع وجروا فيه مجرى الدم فى الجسم البشرى ..

إنهم موجودون فى الحكومة بوصفهم وزراء يقودون الحياة المدنية فى مجالات هى أبعد ما تكون عن تخصصاتهم وخبراتهم . مهمتهم هى الأمر والنهى والولاء للنظام البوليسى الفاشى . ومن كان فى الأصل مدنياً وصار وزيراً ، فإن كبار مساعديه يُعيّنون من الجنرالات الذين تصير بيدهم مفاتيح الأمور كلها . وزير الثقافة له مدير مكتب برتبة جنرال ، يفوق فى سلطاته وقدراته ومشيئته أمين المجلس الأعلى للثقافة ورئيس قصور الثقافة ورئيس الأوبرا ورئيس دار الكتب . بل إن هيئة الكتاب المصرية التابعة لوزير الثقافة يقودها جنرال أيضاً ، وينافس الوزير فى صلاحياته .

وزير الإعلام ، له مساعد برتبة جنرال يقود عصب وزارته وهو اتحاد الإذاعة والتلفزيون ، ويتحكم فى جموع الأفراد الذين يُشكّلون بنيان الوزارة .

وزارة التعلـيم العـالى ووزارة التربيـة ووزارة الأوقـاف ووزارة الطيـران ووزارة الحكم المحلى ، تخضع خضوعاً كاملاً لجنرالات الداخلية ، أو وزراؤها أنفسهم جنرالات .

الوزارات الأخرى منسوبة بصلة إلى الجنرالات تبعية أو خضوعاً أو تقديم تقارير أمنية للجنرالات .

معظم المحافظين ، يتقدم أسماءهم لقب سيادة اللواء المحافظ ، وكثير من رؤساء المدن والأحياء يسبق أسمائهم رتبة سيادة اللواء .

جهاز محمو الأمية يقوده لواء ، وكثير من رؤساء المصالح ومديرى الهيئات ينتسبون إلى رتبة الجنرال .

الدولة البوليسية الفاشية التى تحكم بالأحكام العرفية طيلة نصف قرن أو يزيد لا تسترعى انتباه مثقفى الحظيرة ، ولا تُقلق بالهم ، ولا تؤرق ضمائرهم ، حتى لو استباحت أمن الشرفاء ، واختطفتهم فى جوف الليل من أحضان أبنائهم وصادرت أموالهم ، وقدمتهم لمحاكمات عسكرية بعد أن برأهم القضاء المدنى .

لقد جعلت من التجسس على المواطنين ومراقبة هواتفهم ورسائلهم وسيرهم وسلوكهم ، أمراً طبيعياً ، لا يوجب الشكوى ، ومن يشكو فعليه أن يخبط دماغه فى أقرب حائط !

المضحك أن الدولة البوليسية الفاشية لم تكتف بالهيمنة على السلطة التنفيذية بل امتدت إلى السلطة التشريعية ، وقد لوحظ أن عدداً كبيراً من الجنرالات دخلوا إلى مجلسى الشعب والشورى ، ومهمتهم تتركز فى إسكات المعارضة بالعنف اللفظى والمعنوى ، حتى وصل الأمر أن يتهم واحد منهم المعارضة الإسلامية المتمثلة فى جماعة الإخوان بأنها وراء " سفاح المعادى " ، ولم يخجل من تقصير الجهاز الأمنى فى القبض على هذا السفاح ، مع مرور وقت طويل على بدء جرائمه المستمرة ! كما لوحظ أن عدداً كبيراً منهم أخذوا يتجهون إلى القضاء الواقف (المحاماة) الذى يمثل الجناح الثانى للسلطة القضائية (القضاء الجالس) . وقد يملك بعضهم القدرة والموهبة فى القيام بواجب المحاماة .. ولكن المجتمع يرى أن السلطة البوليسية هى قدرته وموهبته !

إن الدولة البوليسية الفاشية تبث الرعب فى قلوب المواطنين ، وتدفعهم دفعاً إلى الإنسحاب من الحياة الاجتماعية ، لصالح العزلة والانزواء والانطواء ، وما يتبع ذلك من نفاق ومداهنة للسلطات ، وتراضخ أمام إدارتها ، والتسليم لها ، كى تفعل ما تريد بالمجتمع حاضراً ومستقبلاً .

والدولة البوليسية الفاشية لا يعنيها أمن المواطن بقدر ما يعنيها أمنها الخاص ، ولذا تنكل بالمعارضة الجادة ، وتبث الانقسام فى صفوفها ، وتحقق أغراضها عن طريق الترهيب والترغيب ، وهو مايؤدى إلى فساد الحياة السياسية بصفة عامة ، والحياة الاجتماعية بصفة خاصة .

وإذا عرفنا أن فساد الحياة السياسية والاجتماعية يعنى فساداً عاماً فلنا أن نتوقع هزيمة ساحقة للمجتمع فى شتى مجالات الحياة : حضارياً وإنسانيا واقتصاديا وعسكريا.

إن الخوف لا ينتج إلا هزيمة ، والرعب لا ينتج إلا موتا ، والدولة البوليسية لا تُجيد غير صناعة الخوف والرعب والهزيمة والموت .

أين هذا من دولة الإسلام التى تؤمن بالحرية والعدل والشورى والمساواة وترفض التمييز العنصرى والطائفى والطبقى والفئوى والمهنى ؟

دولة الإسلام التى تعلى من إنسانية الإنسان ، وتحقق له الحرية وتمنحه الأمل ، يُدلّس عليها مثقفو الحظيرة ، فينسبونها إلى الدولة الدينية التى صنعتها الكنيسة ويتناسون أن الدولة البوليسية الفاشية ، من خلال الرعب والهزيمة ، تصنع أجيالاً من العبيد الذين لا يعرفون معنى الإبداع ولا ينهضون للدفاع عن الأوطان .. وتلك هى الخسارة العظمى التى لا يُبالى بها هؤلاء .

العبد ولاؤه لسيده . أما الحر فولاؤه لدينه ووطنه وأمته . العبد يفعل ما يريده السيّد وفى مواجهته وإذا ما أدار ظهره فإن العبد ينكص على عقبيه ويتخلى عن ولائه . أما الحرّ فإنه يعمل حبّا فى خالقه الذى لا يراه ولكنه يحسه ، وحبّاً لوطنه وأمته لأنه مأمور بحبهما الذى هو جزء من محبته لله .

وهذا هو الفارق بيننا وبين أعدائنا .. هم فيما بينهم أحرار ، ونحن فيما بيننا عبيد . بأسهم علينا شديد ، وبأسنا عليهم برد وسلام ، لأن بأسنا بيننا شديد ورهيب وخطير .. هم ينتصرون ، ونحن ننهزم .. وتلك سنة الله فى خلقه : الأحرار - أيا كانت ملتهم - ينتصرون . والعبيد – أيا كان دينهم – مهزومون ، ودولة البوليس الفاشية هى دولة العبيد الذين يعيشون الرعب والهزيمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

***

نجوم مضيئة .. ونجوم معتمة !

من أشد العقوبات التى يُعانيها المرضى فى مصر ، فضلاً عن عامة المصريين ، هو مشاهدتهم للتلفزيون المصرى بقناتيه الرئيسيتين ، والحمد لله أن بقية القنوات المحلية لا يراها أهل الأقاليم إلا بصعوبة شديدة .

فى معتكفى مع متاعبى الصحية ، يُفرض علىّ فرضاً مشاهدة التلفزيون المصرى ، فتطلّ علىّ الوجوه القبيحة والملامح السمجة ، وأشعر بالغثيان والتقزز من تلك السحن التى دأبت على التزييف والتزوير ، والنفاق والعواء ، وقلب الحقائق وترويج الأباطيل ، والتغنى بأمجاد النظام البوليسى الفاشى وتجميله بالأكاذيب واللغة الإنشائية التى لا لون لها ولا طعم ولا رائحة !

أحاول دائماً أن أعثر على إيجابية - ولو صغيرة – ونادراً ما أعثر عليها ، أما الخطايا فهى موجودة مثل فضلات الطريق .. كثيرة ومتراكمة وتُشبه زبالة محافظة الجيزة التى فشل أهل الأرض فى إزاحتها !

فى فجر أحد الأيام الماضية ، انتظرت موعد الأذان ، قبله بنحو ساعة ؛ فتحت إحدى القناتين فى تلفزيوننا العتيد ، فوجدت برنامجاً عن الشهيد الراحل " عبدالمنعم رياض " رئيس الأركان فى القوات المسلحة المصرية بعد هزيمة ١٩٦٧م السوداء ، فرحت لأن القوم تذكروا بطلاً من أبطالنا الذين بذلوا دمهم وروحهم فى سبيل الله دون أن ينتظروا جزاء ولا شكوراً .. ولأن التلفزيون المصرى – رعاه الله – لا يتذكر إلا العوالم والغوازى والطبالين والزمارين ، فقد كان تذكّره لعبدالمنعم رياض حالة فريدة ، لا أظنها ستتكرر مع المشير أحمد إسماعيل أو سعدالدين الشاذلى أو محمد عبدالغنى الجمسى أو المشير أبوغزالة أو بقية القادة الآخرين – وبلاش الضباط الأصاغر والجنود الذين أبلوا بلاءً حسناً فى حرب الاستنزاف وحرب رمضان المجيدة .

سألت نفسى : ماذا لو تم عرض برنامج عبدالمنعم رياض فى أوقات الذروة لترى الأجيال الجديدة نموذجاً من نماذج التضحية والفداء ، وقدوة فى مجال العمل والتواضع والانضباط ؟

هل يشعر التلفزيون المصرى بالكسوف ، فيعرض البرنامج فى وقت لا يستيقظ فيه إلا أمثالى من الجيل القديم الذى لا يمثل إلا ندرة محدودة بين الثمانين مليوناً ؟

لاشك أن تلفزيوننا الموقر مكسوف للغاية ، ويشعر أنه يُقدم برنامجا " ثقيل الدم " على قلب المسئولين والمذيعين ، وربما المشاهدين أيضاً !

فعصر " الفهلوة " أو دولة " همبكستان " على رأى صديقنا مصطفى رجب ، لا تتحمل أن ترى فلاحاً جاء من من قرية " سبرباى " بجوار طنطا غربية ، كان والده " قائمقام " فى الجيش المصرى ، ليدرس فى المدرسة الخديوية الثانوية – من زملائه عزيز صدقى رئيس الوزراء الأسبق – ثم يلتحق بالجيش المصرى

بعد تخرجه فى الكلية الحربية مع عدد من قادة نظام يوليو ، أبرزهم أنور السادات ، ثم يتفوق فى مجال القيادة والوعى العسكرى ، حتى يصل إلى قيادة الجبهة الشرقية فى حرب يونيو ١٩٦٧م انطلاقاً من العاصمة الأردنية عمّان !

كان لعبد المنعم رياض ، كما يقول سكرتيره العسكرى العقيد حسنى ..، آراء وأفكار لو تمت الاستجابة لها ، لتغيرت الأمور فى ٦٧ ، وكانت النتيجة مختلفة ، منها على سبيل المثال ، أنه أى عبدالمنعم رياض حين عرف بإقلاع طائرات العدوّ الصهيونى من مطارات فلسطين المحتلة لتضرب مطارات مصر وطائراتها الجاثمة على الأرض ، قام الرجل بحساب المدة الزمنية لإقلاع الطائرات الصهيونية وعودتها إلى فلسطين المحتلة بعد أداء مهمتها ورأى أنه يمكن إحراقها فى الجو بطياريها ، لو قامت الطائرات السورية من دمشق بمهاجمة المطارات الصهيونية وتدمير ممراتها الأرضية فلا تستطيع طائرات العدو الهبوط وتحترق فى الجو . كانت المدة كافية جداً لتقوم الطائرات السورية بمهمتها وتعود سالمة ، ومضت الدقائق ثقيلة ، وكلما مرت عشر دقائق يسأل عبدالمنعم رياض عن إقلاع الطائرات السورية فيجدها لم تقلع ، حتى مضى الوقت ولم تقلع الطائرات السورية أبداً ! وعادت طائرات العدو إلى قواعدها سالمة بعد أن حققت نجاحاً غير مسبوق فى التاريخ ، وهو ما جعل " رفائيل إيتان " قائد سلاح الجو الصهيونى يرقص فوق مكتبه فرحاً فى الثامنة والنصف صباح الاثنين الخامس من يونيو ١٩٦٧!

والأمر نفسه تكرر فى حرب رمضان حيث لم تتحرك طائرة سورية واحدة فى بدء الحرب ولا منتصفها ولا نهايتها حتى الآن . كان عبدالمنعم رياض يبكى فى داخله مما جرى لوطنه وأمته ، وجاءه قرار تعيينه رئيساً للأركان فى الجيش المصرى بعد الهزيمة ، ووجدهم قد أعدّوا له مكتباً فخماً، به مكيّفات وستائر غالية وسجاد عجمى ومكتب فخم فى خلال أربع وعشرين ساعة ، ولكنه رفض هذه الأبهة لأنه يؤمن بالتقشّف والتواضع ، والأهم من ذلك كله العمل فى الميدان . طلب من سكرتيره إلغاء كل مظاهر الأبهة فى مكتبه ، ووضع مكتب خشبى متواضع عبارة عن ترابيزة ميدان ، وفتح النوافذ ، لأنه بوصفه فلاحاً يُحب البساطة والخضرة ، يريد التواصل مع الخارج والهواء الطلق الطبيعى .. ولم يجلس الرجل فى مكتبه بقدر ما انطلق بين القوات فى مختلف الأرجاء ، وخاصة فى الجبهة ، وكان يُشارك بنفسه فى عملياتها الميدانية ، وتوجيه الضباط والجنود للتصويب نحو العدوّ فى الضفة الشرقية للقناة .. وظل يعمل بلا كل ولا ملل حتى اصطادته قذيفة معادية وانتقل إلى جوار ربه شهيداً تُشيّعه ملايين المصريين والعرب والمسلمين فى كل مكان .

وكانت لفتة جميلة من القيادة الجديدة أن توزع علينا يومها – نحن المجندين – كتاباً تذكارياً عن قصة الشهيد الراحل وبطولاته .

عبدالمنعم رياض ، بطل لا نستحى أن نذكره فى المساء والصباح وكل الأوقات .. نذكره فى أيامنا الحلوة وأيامنا المرة .. نقدمه للأجيال التى لا تعرف

غير برامج الفيديو كليب والتوك شو والحوارات الجاهلة الغبية المنافقة ، والقضايا التافهة السطحية .

وسعدالدين الشاذلى ، خلف عبدالمنعم رياض ، أستاذ الانضباط ، والعبقرية الفذة يستحق – وهو حى بيننا – أن نضئ حياته للأجيال المظلومة ، ونغالب التعتيم أو الجحود الذى تصنعه الغيرة والأنانية أو شهوة الانتقام .. فالوطن أبقى من الأفراد أيا كانوا ، وأظن أن برنامجاً أو برامج عن قادة حرب رمضان خير من الغثاء الذى نطالعه صباح مساء يسطح الوعى ، ويهدد القيم ، ويؤصل للتفاهة ..

أعجب لأولئك الذين يذيعون على الناس مسلسلات طويلة المدى تافهة تستغرق شهراً أو أكثر ، لا هدف لها غير التغريب وهجاء الإسلام والتركيز على الطبقة الجديدة التى لا تمثل المجتمع البائس المسكين بحال .

فى معتكفى ابتليت بمشاهدة مسلسل اسمه " أسلحة دمار شامل " كتبه وأخرجه شخص يسبق اسمه بدرجة دكتوراة (لا أعرف فى أى تخصص) ، وكأن بين صاحبنا وبين الإسلام عداوة بعمر الزمان . فمعظم شخوص مسلسله الردئ يعيشون فى واد آخر ، وعلاقاتهم مفتوحة (على الآخر) والكذب والخيانة الزوجية والانحراف والإدمان والملابس العارية والخمور ، تهيمن على الحياة الاجتماعية وتوجهها بوصفها أمراً عادياً وطبيعياً .. ثم نجد ممثلى الإسلام من المتدينين والمحجبات صورة مقززة ومتخلفة ، لا يؤمنون بالعلم ولا الطب النفسى ولا الأخذ بالأسباب ، بل يؤمنون بكتب السحر والجان والشعوذة والخرافة ..وقد أسفت لوجود الممثل " توفيق عبدالحميد " الذى أحترمه ، وأتابع أدواره ، مع أن دوره فى هذا المسلسل القبيح يقدم النموذج المقبول إلى حدّ ما .

ولا أدرى سرّ هذه العداوة الآثمة للإسلام ، مع أن كثيراً من المتدينين متفوقون فى العلوم والهندسة والطب البشرى والطب البيطرى ، والطب النفسى أيضا، وهناك أساتذة متبحرون فى الجيولوجيا والتكنولوجيا ، ولكن مجتمع العوالم والغوازى والمشخصاتية يعتم عليهم ويقصيهم ويحاصرهم !

اللهم إنى أسألك الشفاء واللطف ، حتى لا أضطر طويلاً لتلقى العقوبة الشديدة بمشاهدة التلفزيون المصرى ونجومه المعتمة .. استجب دعائى يا كريم .

***

أمين شرطة .. اسم الله!

من إفرازات الأنظمة العسكرية والبوليسية الفاشية ، نشوء نخب مُهيّأة لفعل الشيء ونقيضه ، بدءًا من وزراء تشابه الأسماء ، وكُتّاب التقارير في آبائهم وأزواجهم حتى أمناء الشرطة الذين يتحولون إلى أبواق مأجورة ، لا تخجل من تناقضاتها وعمالتها !

فى " القدس العربى " ٢٠٠٧/٣/١٧م عرض لكتاب ألفه الشاعر العراقى الراحل " بدر شاكر السيّاب " بعنوان : " كنت شيوعياً " ظهر مؤخراً بالمانيا ، وفى هذا الكتاب يفضح السيّاب رفاقه الشيوعيين وتناقضاتهم التى وصلت إلى حدّ توزيع منشورات تخدم الصهيونية (!) وكتابة التقارير ضد بعضهم وأصدقائهم ، للإيقاع بهم وإدخالهم المعتقلات والسجون . لا يختلف الشيوعيون العراقيون عن الشيوعيين المصريين .. أوجه التشابه بينهم عديدة وكثيرة تصل إلى حدّ التطابق فى الفكر والسلوك ، وإن كانت الوقائع تختلف باختلاف المكان والزمان !

أعرف حالة دالة ، كان الرفيق الشيوعى ، أمين شرطة فى أحد أقسام القاهرة القديمة ، والتقطه أحد رفاقه بعد خروجه من المعتقل ، واستكتبه فى صفحته الثقافية ، حتى صار صحفياً بإحدى الصحف القومية – عفواً .. الحكومية – وبعد التقاعد جلس فى قهوة " الشمس " بنقابة الصحفيين .

فى بداية حياته كان صاحبنا إخوانياً ، وعندما لم يجد لدى الإخوان ما يُشبع طموحاته تركهم ، وانضم إلى الشيوعيين وصار كادراً مهمّاً ، يكتب عن الكادحين والفقراء وعزبة القرود .. وظل ماركسيا متشدّدا يلعن الإمبريالية الأمريكية والبرجوازية المتعفنة ؛ والحكومة اليمينية العميلة ! حتى دق الحظ بابه فى " قهوة الشمس " .

لقد أُتيح له أن يسطو على منصب ثقافى ، كان أحد أقاربه موعوداً به ، فأثبت جدارة غير مسبوقة فى خدمة النظام البوليسى الفاشى ، ومخطط أمريكا الاستعمارية ، وبرجوازية الحديد والأسمنت والأغذية الفاسدة ، وثقافة هز الوسط والإباحية ..

لم يكن غريباً أن يكون الرفيق الشيوعى السابق ، المتأمرك الحالى ، من أهم الكوادر التى تخطط لاستئصال الإسلام وتشويهه والتشكيك فى قيمه ، من خلال ما يكتبه ، وتجنيد نفايات الشيوعيين الذين تأمركوا وأشباههم ، لشنّ الحملات الغبية ضد الإسلام ورموزه ومبادئه وتشريعاته ، مع اصطياد بعض السلوكيات التى تُعبّر عن أصحابها ولا تُعبّر عن الإسلام بحال ، لتقديمها للعالم بوصفها الإسلام ومعطياته .. وهو يعلم أنه كذّاب كبير !

لم أفاجأ باسمه ضمن المائة شيوعى متأمرك الذين قدموا بياناً إلى رئيس الدولة لإلغاء الإسلام من الدستور ، أو المادة الثانية تحديداً ، لأنهم يرون الإسلام عنصر فتنة بين الأغلبية الساحقة وبين الأقلية التى عاشت الإسلام حضارة وثقافة بعد أن حرّرها من قهر الرومان ، وأعاد إليها دينها، وبطريركها الهارب .. كما يرون

الإسلام ينتقص من حقوق المواطنة ، ويمثل " خميرة " إرهاب ضد الدولة المدنية .. متغافلين عن الدولة البوليسية الفاشية التى يخدمونها خدمة العبد لسيده ، نظير فتات لا يُساوى لحظة شرف وكرامة يعيشها الإنسان - أى إنسان - فى مواجهة فاشية الدولة الظالمة التى تضرب بالقانون والدستور عرض الحائط ، وتحكم الشعب البائس بالأحكام العرفية طوال نصف قرن أو يزيد .

ومشكلة النخب العميلة فى بلادنا المقهورة بالفاشية البوليسية أنها لا تجد أمامها عـدوّاً غير الإسلام ، الذى هو بالمناسبة العدوّ الأخضر للدولة الصليبية الاستعمارية الأولى فى العالم أعنى الولايات المتحدة ، فتركز على محاربته أملاً فى الخلاص منه ، وتحويل البلاد إلى مساحة مستباحة ، لمن يهمهم الأمر .. أمر الاستباحة ، والنهب ،وإذلال البشر .

تقول الفقرة السادسة من بيان المائة الذى دعا إلى استئصال الإسلام من الدستور من خلال المادة الثانية من الدستور ، التى صاغتها يد أمين الشرطة المتسلق أو من يُشبهه فى النخبة :

((إن تجربة ربع قرن من سريان هذا النص – يقصد المادة الثانية – يُشير إلى أنه كان عاملاً – إلى جانب عوامل أخرى فى تراجع الدور الحيادى المفترض للدولة تجاه مواطنيها . وفى انتهاك الحق فى المساواة بصرف النظر عن الدين ، الأمر الذى صار حقيقة لم يعد أحد يُنكرها ، مهما كان التفاوت فى تقييم حجم وطبيعة مظاهر عدم المساواة . كما جرى توظيف هذا النص لتبرير اجتياحات شكليات الدين لكافة مناحى الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية (بما فى ذلك أعمال البورصة والبنوك) ، وإشاعة مناخ التطرف على حساب حرية البحث العلمى والفكر والإبداع الأدبى والفنى ، ومتطلبات السموّ الروحى للمصريين ، وصارت مناهج التعليم ووسائل الإعلام المملوكة للدولة مصدراً رئيسياً لإشاعة التطرف الدينى ، حتى بلغ الأمر أن تنشر وزارة الأوقاف كتابا يُكفّر المواطنين الذين يؤمنون بأديان أخرى ، ويُبيح استحلال أملاكهم ودمائهم)).

انظر إلى قدر الأكاذيب والتدليس والكراهية فى هذه الفقرة وحدها . إنه قدر هائل وكبير ، صنعته يد التخريب والعدوان على الوطن المظلوم الذى فقد حريته وثروته وكرامته تحت وطأة الاستبداد والفاشية وغسيل المخ!

من أول كلمة فى بداية الفقرة " إن " أداة التوكيد حتى آخر كلمة " دمائهم " ، أكاذيب لا تصمد أمام الحقائق . فالمادة الثانية موجودة بالدستور منذ عام ١٩٢٣باستثناء الدستور الناقص المعروف بدستور الوحدة (١٩٥٨م – ١٩٦١) ، ولم يحدث بسببها ما أشارت إليه الفقرة من انتهاك الحق فى المساواة .. لأن هذا الانتهاك كان موجها باستمرار ضد الأغلبية المسلمة وليس ضد الأقلية غير المسلمة ، وقد صنعه العساكر الذين حكموا البلاد بالحديد والنار والمخابرات والمباحث ، فاعتقلوا وسجنوا وأعدموا ولاحقوا وحاصروا المسلمين وحدهم . لأنهم لا يستطيعون أن يقتربوا من غير المسلمين أو يحاكموهم مهما كانت جرائمهم ولو كانت خيانة الوطن ، مثلما يفعل الآن " خلفاء المعلم يعقوب " فى أمريكا وأوربا !

ثم إن الأهم فى هذه الفقرة الحاقدة المسمومة يُشير إلى ما يُسمى التطرف الدينى ، وهو بالطبع يقصد ما يُسمى بالتطرف الإسلامى ، لأن موقّعى البيان من الشيوعيين المتأمركين ، لا يُمكنهم الإشارة إلى تطرف غير إسلامى ، جعل نفسه حاكما لشعب مسلم تبلغ فيه نسبة المسلمين أكثر من ٩٦% وفقاً لإحصاءات الأمم المتحدة ، وليس وزارة الداخلية المصرية . ولا يستطيع موقّعو البيان من الشيوعيين المتأمركين ، أن ينتقدوا تكفير المسلمين الذى يقوم عليه الخطاب غير الإسلامى صباح مساء ، فى مواعظ الأحد ، والكتب والصحف والمجلات ، والأفلام ، التى تصدر عن دور العبادة غير الإسلامية ، وتملك من الحصانة ، ما يجعل وزراء الاختصاص أعجز من الإشارة إلى ذلك ولو بكلمة !

إن القوم بصفة عامة ، لا يُريدون للإسلام وجوداً فى أى مجال من مجالات الحياة ، بما فى ذلك أعمال البورصة والبنوك ، وكأنهم يُظاهرون السيد / شيلوك ، كى يستبيح أجساد المصريين نفسها وليس أموالهم! ثم إنهم حريصون على إلغاء الإسلام تماماً ، من التعليم والإعلام والمساجد حتى لا يكون هناك تطرف دينى (إسلامى طبعا) !

لقد لفت نظرى فى بيان المائة التى صاغته يد أمناء الشرطة المثقفين وأشباههم العبارة التالية التى ذُيل بها البيان :

" تعضيداً منه لقضية مدنية الدولة فى مصر ، نشر منتدى الشرق الأوسط للحريات هذا البيان كصفحات إعلانية فى صحيفتى وطنى والأهالى المصريتين ، وقد قام بالمشاركة فى تغطية تكاليفه عدد من السادة الموقعين على البيان " .

تأمل معنى " مدنية الدولة " كأنها مخاصمة للإسلام ، أو كأن الإسلام يُخاصم المدنية .. ثم تأمل اسم الصحيفتين اللتين نشرتا البيان " وطنى " و " الأهالى " ، الأولى صوت التعصّب الطائفى المقيت ضد الإسلام ، والأخرى صوت الشيوعين ، أحفاد " هنرى كورييل " اليهودى الغامض الذى صنع الحزب الشيوعى فى مصر ، وجعل أعضاءه يهتفون " نحن إخوان اليهود " ، وأن مشاركة العرب فى حرب ١٩٤٨م دعما للفلسطينيين عمل قذر !

إن أمناء الشرطة الذين يعذبون المواطنين فى أقسام الشرطة ، أو يضرب أحدهم أمه بالحذاء فى قاعة محكمة ، أقل خطراً من أمناء الشرطة الذين صاروا مثقفين وفلاسفة وقادة فكر فى وطن لا كرامة فيه لأبنائه .

وليس معنى ذلك أن كل أمناء الشرطة منحرفون ، فكثير منهم أولاد ناس ومحترمون ، وبعضهم يؤدى واجبه بشرف وشهامة ، وكثير منهم استطاع أن يُواصل مسيرته العلمية الإنسانية أفضل ما تكون المسيرة.

ومهما يكن من أمر ، فإن الشعب المصرى المسلم ،كان إسلامه ، دينا للأغلبية ، وحضارة وثقافة للأقلية ـ لن يفرط فى دينه ، ولو صنعوا ألف دستور على عين الولايات الأميركية المتحدة .. لأن الإسلام يضرب بجذوره فى أعماق التراب ، وشرايين الدم ، وذّرات الهواء .

وموتوا بغيظكم مع من يغطى تكاليف صحفكم وبياناتكم.

***

سيد قطب .. والطبعة الشرعية!

يظل كتاب " معالم فى الطريق لشهيد الإسلام " سيد قطب " ، مسمار جحا الذى يجلس تحته نفر من خصوم الإسلام ، حيث يلصقون به تهمة تكفير المجتمع والتحريض على العنف ورفض الآخر .. وللأسف الشديد ، مازال نفر من كتاب السلطة واليسار المتأمرك ، فضلاً عن صحافة لاظوغلى ، تتخذ من هذا الكتاب مادة غزيرة للهجوم على الإسلام وقيمه وتعاليمه ، وإن كان هجومهم فى الظاهر موجها إلى جماعة الإخوان المسلمين التى يسمونها " المحظورة " ، أو الجماعات الإسلامية بصفة عامة .

وسيد قطب (١٩٠٦ – ١٩٦٥) تخرج فى دار العلوم ، معقل الثقافة الإسلامية المتجددة ، وبرع فى النقد الأدبى والدراسات الإسلامية ، وله عدد كبير من الكتب أبرزها وأعظمها " فى ظلال القرآن " الذى يُعد أفضل تفسير معاصر ، لغة وبيانا ورأيا وعطاءً ..

أما " معالم فى الطريق " فهو أحد كتبه التى تسعى لبناء المجتمع وفق مفهوم إسلامى ، يقوم على التجرّد من عبودية غير الله والتحرر مما سواه .. وفى أوائل الخمسينيات ذهب فى رحلته التاريخية إلى الولايات المتحدة ، التى اكتشف فيها وحشية الرأسمالية الغربية ، وتدميرها لروح الإنسان وفطرته ، كما اكتشف من قبل خواء الشيوعية وخداعها وقهرها لكل ماهو حى فى الضمير والوجدان .. ووصل إلى نتيجة سهلة وبسيطة ، وهى : " الإسلام هو الحل " .

ومع أن السلطة البوليسية الفاشية تجند كتابها لمواجهة هذا الشعار ، فقد كانت ترجمة " سيد قطب " له ترجمة تطبيقية تتمثل فى بناء المجتمع بناء يقوم على غرس قيم الحرية والعدل والتسامح والمساواة والعمل والإنتاج والإبداع ، ولم يكن " سيد قطب " انقلابيا كما يدعى بعضهم ، أو داعية عنف أو دمار .. ومن المفارقات أنه صاحب عبارة " دعاة لا قضاة " التى اعتمدها المستشار حسن الهضيبى فيما بعد ليردّ على اتهام السلطة العسكرية للإخوان بتكفير الناس ، علماً أن هذه السلطة كانت أول من كفر الناس ، وكان شعار " إخوان الشياطين " يملأ صحف الخمسينيات والستينيات ، إشارة إلى " كفر الإخوان " أو تكفيرهم !

كثيرون ممن هاجموا " معالم فى الطريق " لم يطالعوه ، وردّدوا ما قاله الماركسيون فى الستينيات حوله ، حيث يُحمّلون " سيد قطب " ظهور جماعات العنف ، ووقوع بعض الحوادث التى تمت فى العقود الماضية ، مع أن الرجل كان يهدف إلى التركيز على بناء الفرد بناء إسلاميا ، وتربيته بما يجعله صالحا لبناء المجتمع وفقا لقيم الإسلام وأخلاقه .. والخروج من " الجاهلية " التى فرضت على الشعوب أن تعبد حكامها ومصالحها من دون الله ، أو تعبد " المادة عموما " ، سواء فى المعسكرين الشيوعى والرأسمالى القائمين فى زمانه ..

وقد رأى بعضهم فى الوصف ب " الجاهلية " للعصر أو الناس ، تكفيراً وإخراجاً من الملّة ، وهو فهم خاطئ وقاصر ، فالأداء اللغوى يحمل – وخاصة فى الأدبيات العامة – أكثر من مستوى ، أو ما يُسميه علماء البلاغة بالمعنى القريب والمعنى البعيد . أو المعنى الحقيقى والمعنى المجازى ، وهو ما يجعل كلام سيد قطب يصبّ فى الإطار المجازى ، كما نتحدث اليوم عن حكم الفراعنة الجدد ، بقصد الإشارة إلى قسوتهم ضد شعوبهم ، ومصادرة الحريات ، والضرب عرض الحائط بالقانون والدستور .. وكما نشير إلى " كهنة آمون " ونريد بهم الكذابين والمنافقين فى مجال السياسة والصحافة والثقافة والإعلام ، الذين يسوّغون قهر السلطة للشعب ، ويجمّلون صورة اللصوص الكبار الذين يسرقون بالقوانين واللوائح التى صنعوها ..

المجاز إذاً لا يقصد " الفراعنة " القدامى ، ولا " كهنة آمون " التاريخيين ... ولكنه يقصد أشباههم المعاصرين ، ولنا أن نتذكر أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، خاطب أبا ذرّ – رضى الله عنه – فى بعض المواقف التى أنكرها عليه ، فقال له : " إنك امرؤ فيك جاهلية ... " أو كما قال ، وهو – صلى الله عليه وسلم – لم يقصد إخراجه من حظيرة الإسلام ، ولكن يُريد تنبيهه إلى خطأ ، ما كان ينبغى أن يحدث منه أو من غيره من الصحابة رضوان الله عليهم .

لقد آلمنى أن يردد الصحفى النشيط " سليمان جودة " فى لقاء تلفزيونى على القناة الثقافية مساء الخميس ٢٠٠٧/٣/٢٢م ، الأفكار المتداولة عن " معالم فى الطريق " لدى كتّاب السلطة الناصرية والحالية ، ويدّعى أن " سيد قطب " يحتكر الحقيقة .. ثم يتساءل فى تعجب عن معنى الطبعة الشرعية للكتاب ..

ولأن سليمان لم يعاصر أيام ذبح " سيد قطب " على يد الفراعنة المعاصرين ، فأود أن أقول له : إن " الطبعة الشرعية " التى وضعت على كتاب " معالم فى الطريق " وعلى بقية كتبه الأخرى ، وكتب شقيقه " محمد " التى قامت بطبعها " دار الشروق " لصاحبها " محمد المعلم وأولاده " ، كانت محاولة لوقف الاستباحة التى جرت لكتب الشقيقين ، وخاصة بعد المذبحة التى راح ضحيتها " سيد " وابن شقيقته (الذى استشهد نتيجة التعذيب) وتشتيت شمل الأسرة ، فقد ظهر "ورّاقون" فى لبنان وسورية والعراق والمغرب العربى ، وراحوا يطبعون كتبهما ، ويوزعونها فى أرجاء العالم الإسلامى دون أن يعبأوا بحقوق الورثة . وأذكر أن أحدهم وكان يُدعى " حبنكة " ، صاحب دار نشر فى بيروت ، كان يقول مسوّغاً نشره للظلال بدون إذن من أصحابه : إنه ينشر الدعوة الإسلامية !

إذاً عبارة الطبعة الشرعية لا تعنى شيئاً غريباً أو مثيراً للتساؤل ، بقدر ما تحفظ حقاً لأصحابه ، وتذود عنه اللصوص .

ولا أعلم أن " سيد قطب " يحتكر الحقيقة ، بل كان يعرض مالديه ، والناس تقبل به أو ترفضه ، وكان فى غاية التواضع حين آثر أن يسمى تفسيره للقرآن " فى ظلال القرآن " ، ولم يفعل كما فعل مئات المفسرين من قبله الذين سمّوا أعمالهم تفسيراً أو أحكاماً .. لقد عدّها خواطر ، وعلينا أن نقرأها ، فنستفيد منها أو نرفضها .. وإذا قارنت سلوكه ، بسلوك بعض الصبية اليساريين أو أشباههم ممن

يدعون العلم أو النقد أو الأدب فى زماننا ، لوجدت أن الفارق بين الرجل وبينهم ، ما بين السماء والأرض .. ولكن غوغائيتهم ونرجسيتهم وتورّم ذواتهم يجعلهم فى مكان آخر .

إن الإسلام لا يرغم أحداً على قبوله والانضواء تحت رايته ، وفى الوقت ذاته فعلى الآخرين أن يحترموا أتباعه ، وسبق أن حسم القرآن الكريم المسألة بوضوح شديد : " فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. " .

ومن المؤسف أن تخصص بعض الدول الإسلامية ، نفراً من أبواقها لمهمة محددة ، هى تشويه الإسلام ورجاله ، ووصمهم بالعنف والإرهاب ، وكأنهم صاروا وكلاء عن الغرب الاستعمارى الذى جعل من القضاء على الإسلام والتشهير بعقائده وقيمه ، استراتيجية لا تتغير منذ الحروب الصليبية حتى اليوم ، وإلى ماشاء الله .

لقد كان " سيد قطب " – رضوان الله عليه - يحلم بمجتمع جديد ، وعندما قام العسكر بانقلابهم فى يولية ١٩٥٢، أيدهم كما أيدتهم جماهير الأمة العربية كلها ، وحين اكتشف خداعهم ووحشيتهم ، فارقهم مع أن بعضهم كان يعد نفسه تلميذاً له أو صديقاً .. ولأنهم لم يتركوا عنصراً يمكن أن ينازعهم السلطة أو الحكم ، فقد قضوا على الأحزاب والجماعات والمؤسسات التى يُشتبه فى تأثيرها على الرأى العام ، وأدخلوا الناس جميعا زنزانة كبيرة اسمها " الوطن " .

لم يُبقوا على سيد قطب الذى كان بحق للأمة كلها وليس للإخوان أو الجماعات الإسلامية كما أشار الدكتور وحيد عبدالمجيد فى اللقاء التلفزيونى المشار إليه . لم تشفع صداقة بعضهم أو تلمذنهم له ، وقام العسكر بالحكم عليه فى عام ١٩٥٤ بالسجن خمسة عشر عاما ، وأفرجوا عنه صحيا لغاية فى نفس يعقوب ، بعد أن قضى عشر سنوات تمزّق فيها صدره بالالتهاب الرئوى ، حيث أرادوا اصطياد من يلتفون حوله من بقايا العناصر الرافضة للاستبداد والقهر .. ولم يتركوه طويلاً حتى علقوه على المشنقة ، بعد أن حولوه بألسنة الزور اليسارية والمرتزقة إلى إرهابى غير مسبوق.. ومع ذلك ، فقد كان هناك من يحبونه ، ومن يشعرون بفداحة الأمة لخسارته ، بدليل توزيع كتبه فى طبعات " غير شرعية " ، وكان هناك من الشعراء من رثاه بدمع العين ، ويذكرنا الأستاذ "وديع فلسطين" بقصيدة " سيّد " التى كتبها الشاعر الراحل محمود أبو الوفا ، ويقول فيها:

(يا سيّداً كان عندى ... أعز من أن i iأصطفيه
ياطاهر i iالطرفين ... من أمه iiلأبيه
يا أبعد الناس iiخلقا ... عن كل فعل iiكريه
أخى ، ومن منك أولى ... بكل وصف iiنزيه
وماذكرنا iiعظيما ... إلا رأيناك iiفيه)

إلى أن يقول :
وما بكى أى عصر .. إلا أعزّ بنيه)

إن سلطة تقتل رجلا يقول ربى الله ، ويحمل قلما ، ولم يدع إلى حمل سلاح ، لهى سلطة فاقدة للرشد وهى سلطة ضعيفة بكل المقاييس ، بدليل هزيمتها المروّعة عام ١٩٦٧م ، وفضيحتها العالمية الداوية ، وتخلفها فى كل الميادين ... ولعل أصدقاءنا الصحفيين والكتاب الذين نأمل فيهم خيراً مثل " سليمان جودة " ، أن يتثبتوا قبل إصدار الأحكام العامة ، ولا يستجيبوا لما يبثه " مثقفو الحظيرة " من آراء وأفكار تخاصم العلم والحق والصواب ، ولا تفزع لذبح كاتب موهوب مثل " سيّد قطب " ، ولكنها تملأ الدنيا ضجيجاً من أجل " امرأة " تشتم الإسلام ، وترى الكعبة صنما ، وتدعو لتعدد الأزواج!

***

حقيقة سيد قطب

" كان لا يصلي الجمعة "!

عبارة قالها أحد الأشخاص الذين تداخلوا مع البرنـامج الذى بثتـه القنـاة الثقافيـة مساء الخميس ٢٢/٣/ ٢٠٠٧م ، محاولاً الانتقاص من إسلام " سيد قطب " شـهيد الإسلام – رحمه الله – وقد نقل هذه العبارة عن كتاب ألفه أحد الأشخاص ، كان ضمن الإخوان المسلمين الذين حاكمهم النظام العسكرى الحاكم فى قضية عام ١٩٦٥م ، واستطاع هذا النظام أن يستغل ضعفه بسبب التعذيب والإذلال ؛ فسقط فى الطريق ، وراح يروى ويكتب ما يُريده العسكر ويسهم فى التشنيع على الإخوان والتشهير بهم ، ونال الشهيد الراحل ، بعض من رذاذ الأباطيل والأكاذيب الذى أطلقه " الإخوانى السابق " ، ومن ضمنه أنه " لا يُصلى الجمعة " أو أنه رآه لا يُصلّى الجمعة !

سوف نفترض جدلاً أن " سيد قطب " لم يُصل الجمعة ، أو لم يُصل أبداً ، فهل يُسوّغ ذلك أن يُقدّم الشهيد إلى المقصلة ؟ إن تارك الصلاة يُستتاب ثلاثاً ، وإذا رفض الصلاة يُقام عليه الحدّ ، ولكن حكومة العسكر لم يُعرف عنها أنها كانت تهتم بأمور الدين أو أمور الدنيا التى تخص عموم الشعب البائس ، اللهم إلا ما اقتضاه تلميع صورتها فى الإعلام الكذّاب والصحافة المزوّرة .

فهل حقاً ، كان سيد قطب لا يُصلّى الجمعة ، وقد وهب حياته من أجل شرّع صلاة الجمعة ؟ افترض أنه لم يُصل الجمعة ذات يوم ، أفلا يكون صاحب عذر أو ضرورة تمنعه من الخروج إلى الصلاة ، ونحن نعلم أن الالتهاب الرئوى مزّق صدره وخاصة فى السنوات العشر التى قضاها فى زنزانته المظلمة قبل ذبحه؟

إن التشهير سهل ، والافتراء ميسور ، ولكن من يتلقى التشهير والافتراء ، يجب أن يكون صاحب خلق ، يحكم على ما يسمع أو يرى أو يقرأ ، بعقل وموضوعية .. لقد قال العسكر الجلادون ، وهم يُشهرون بالإخوان فى الإذاعات والتلفزة والصحف إن الإخوان أو إخوان الشياطين كما كانوا يسمونهم آنئذ ، كانوا يعتزمون قتل أم كلثوم والفنانين الآخرين وتفجير الجسور والمؤسسات.. وهو قول كاذب رخيص ، لأن حركة شعبية تريد أن يلتف حولها الناس ، لا يمكنها أن تقارف مثل هذا العمل ، لأنها تحكم على نفسها بالفناء ، وسينفض الناس عنها فى الحال .

ومن المواقف التى يجب أن تسجل بالتقدير والاحترام موقف الإعلامى المعروف " حمدى قنديل " الذى اعتذر عن مشاركته فى حملة التشهير الظالمة ، يومها كان فى مقتبل الشباب واندفاعاته ، وبؤرة الانبهار ببريق الزعيم وإنجازاته (الصحفية والإعلامية طبعا) ، وليت أصحاب الضمير الحىّ، يقتدون به ، ويعتذرون عن افتراءتهم الباطلة ، التى أثبت الزمان ضحالتها وهشاشتها واختراعها!

ومن المؤسف ، أن بعض خصوم الإسلام ، مازالوا حتى اليوم ، يبعثون هذه الافتراءات بقصد تشويه الإسلام من خلال سيد قطب وأمثاله من الدعاة والكتاب وقادة الفكر الإسلامى .

ومن المؤسف أيضاً ، أن الأمر ليس قاصراً على هؤلاء الخصوم ، ولكنه موجود لدى بعض المحسوبين على الإسلام ، وقد نقل إلىّ بعض تلاميذى ، أن منهم من يصف " سيد قطب " بالظالم ، ويدعى عليه ادعاءات باطلة ، بل يذهب بعضهم إلى حدّ تكفيره ، انطلاقا ، من سلخ بعض العبارات والجمل من سياقها فى كتبه ومقالاته ، وفهمها فهما مغلوطا ، بعيداً عن دلالتها الدقيقة المقصودة .. وكأنهم بذلك يُحلّلون للطغاة الجلادين إهدار دمه وهو الأسير الأعزل المسالم الذى لم يرفع سلاحا ولم يمتلك غير قلمه وكلمته الصادقة الجرئية !

الفهم القاصر الذى يعجز عن استيعاب المعنى الصحيح ، أو الفهم الجزئى الذى لا يضع فى حسبانه مراحل تطور الكاتب وأفكاره ، يوقع صاحبه فى تناقضات ومآزق تخلف سلبيات خطيرة ، تعصف بالمجتمع وقيمه .

ولا شك أن أى كاتب يمرّ فى عمره الفكرى والأدبى بمراحل مختلفة ينتقل فيها من وضع إلى آخر ، والأغلبية من الكتاب تقطع شوطا – يطول أو يقصر – من القصور والقلق والاضطراب ، حتى يصل إلى الاستقرار ، وسيد قطب واحد ممن عبروا مرحلة القصور والقلق والاضطراب سريعاً ، وسنجده فى وقت ما ، يعود إلى كتابة " العدالة الاجتماعية " مثلاً ، ويراجعه ، ويُضيف إليه ، ويحذف ، لأن أفكاره قد نضجت وتبلورت ، وصارت الرؤية لديه أكثر وضوحاً واتساقاً .

وهناك من الكتاب من ينتقلون من فكر ما إلى فكر آخر قد يكون معاكسا أو مناقضاً ، لأنهم اكتشفوا الصواب واليقين ، وفى فكرنا العربى الحديث أمثلة كثيرة ، منها على سبيل المثال : محمد حسين هيكل ، طه حسين ، مصطفى محمود ، محمد عمارة ، عبدالوهاب المسيرى ..

بيد أن سيد قطب فى مجمل إنتاجه الفكرى والأدبى ، كان إنساناً بكل ما ينبض به الإنسان من حركة ونموّ وتطور ، وقد كان هذا النبض دائماً يُعبّر عن السمو إلى الأعلى والأفضل ، حتى توّج حياته بعمله العظيم " فى ظلال القرآن " ، الذى اتفق كثير من الدارسين على أنه أفضل تفسير معاصر ، رؤية وصياغة ، نظرة وأسلوباً ..

وإذا كان يكفيه إنتاجه الفكره والأدبى ليكون فى مقدمة أدباء العصر الحديث ومفكريه فى مصر والعالم العربى والإسلامى ، فإن موقفه العملى من أحداث الواقع السياسى رفعه إلى مصاف الشهداء ، حين رفض أن يتراجع عن معتقده وفكره ورؤيته ، وصمم على أن يتطابق إيمانه مع سلوكه ، ومعتقده مع عمله ، ولم يقبل أن يكتب التماساً يتضرع من خلاله إلى الفرعون كى يفلت رقبته من حبل المشنقة ..ومع الترهيب والترغيب ، وقف شامخاً كالطود ، صامداً كالجرانيت ، لم يهزّه الفحش الإعلامى ولا الخسة الاستبدادية ، ولكنه صبر وغفر وأخذ بعزم الأمور ، ، وسقط شهيداً فى ميدان الشرف والبطولة والدفاع عن الإسلام ، ولم يسقط ضعيفاً مهزوماً أمام إغراءات السلطة وجبروتها ، كما فعل ذلك الذى شهّر

به وبإخوانه ، وباع نفسه لشياطين الإنس الذين حاربوا كل ماهو نبيل ومضيء في الحياة والعقيدة .. فحصدوا العار والشنار والخيبة والفضيحة على رءوس الأشهاد .

سيد قطب ، كان نموذجا نادراً وفريداً فى تصدّيه للطغيان والجبروت ، ورفع الإصر عن الشعب المصرى كلّه حين عبّر عن يقينه وعقيدته بشجاعة وبسالة فريدتين .. من خلال منهج الإسلام الذى يرفض الدنية والمذّلة فهل يجوز أن نصفه بالظالم ، ونحكم عليه بالكفر ؟

أفهم أن يضع بعض الإسلاميين صورة الدعاة وقادة الفكر الإسلامي في صورة مثالية ونموذجية - وهو أمر طبيعى ومقبول بحكم ما تفرضه القدوة والأسوة الحسنة ، ولكن هل نسينا أن هذا الداعية أو القائد إنسان يعتريه مايعتري الإنسان من ضعف ونقصان .. إن الكمال لله وحده، والحكم الموضوعي المنصف يأخذ في الحسبان مجمل النتيجة العامة ومعطياتها ، فلا يتوقف عند سلبية هنا أو هناك ، بل العدل أن ننظر إلى كافة الجوانب ويقارن ويوائم - وعلينا في كل الأحوال أن نأخذ بالظاهر والله يتولى السرائر !

إن التاريخ أصدر حكماً عاجلاً ، ببراءة المظلوم وإدانة الظالم .. وقد تمثّلت براءة المظلوم سيد قطب فى شعبيته الجارفة بعد رحيله إلى بارئه لا يملك لأحد ضراً ولا نفعاً .. أما إدانة الظالم ، فقد شاهدها العالم فى هزيمة ساحقة أمام شذّاذ الآفاق وحثالة البشر فى يونية ١٩٦٧م ، ثم ما جرى بعدها من فضائح ومحن وأزمات ، ما زال بعضها يمسك بتلابيب الوطن والأمة حتى اليوم .

بيد أن هناك حكماً آخر مؤجلاً ، سيأتى فى موعد لا يتخلف ، يحكم به علاّم الغيوب ، وحكمه عادل بالقسطاس المستقيم !

وإذا كان الشيوعيون وأشباههم ممن باعوا أنفسهم للأنظمة المستبدّة يُشوّهون " سيد قطب " المفكر الشهيد ، فإن بعض المحسوبين على الإسلام ينبغى أن ينأوا عن هذا المنزلق ، ولا يُشاركوا فيه ..

ورحم الله الشهيد الذى لم ينحن لغير الله ، ولم يتناقض قوله مع فعله.

***

كتب للمؤلف
الأستاذ الدكتور حلمي محمد القاعود

أولا : كتب صادرة عن دار النشر الدولي بالرياض

١- النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراته.
٢- تيسير علم المعاني .
٣- الأدب الإسلامي : الفكرة والتطبيق .
٤- محمد- صلى الله عليه وسلم –في الشعر العربي الحديث (طبعة ثانية منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة) .
٥- المدخل إلى البلاغة القرآنية .
٦- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث: دراسة ونصوص (طبعة رابعة منقحة ومزيدة ومجلدة وفاخرة).
٧ - تطور النثر العربي في العصر الحديث .
٨- مدرسة البيان في النثر الحديث .
٩- تطور الشعر العربي في العصر الحديث .
١٠ – المدخل إلى البلاغة النبوية .

ثانيا : كتب صادرة عن دار العلم والإيمان (دسوق – كفر الشيخ) :

١- الإخوان والنظام : برنامج الحزب المستحيل .
٢ - وجوه عربية وإسلامية .
٣ - الورد والهالوك : شعراء السبعينيات في مصر (طبعة ثالثة) .
٤ - الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (طبعة ثالثة) .
٥ - الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (طبعة ثالثة) .
٦ - الرواية الإسلامية المعاصرة (طبعة ثانية).
٧ - في رياض النبوة (٣ أجزاء)
٨ - شعراء وقضايا : قراءة في الشعر العربي الحديث .

ثالثا : إسلاميات :

١ - مسلمون لا نخجل (٤ طبعات).
٢ - حراس العقيدة (٣ طبعات).
٣ - الحرب الصليبية العاشرة.
٤ - العودة إلى الينابيع .
٥ - الصلح الأسود .. والطريق إلى القدس .
٦ - ثورة المساجد .. حجارة من سجيل .
٧ - هتلر الشرق .
٨ - جاهلية صدام وزلزال الخليج .
٧ - أهل الفن وتجارة الغرائز (طبعتان) .
٨ - النظام العسكري في الجزائر .
٩ - حفنة سطور .. شهادة إسلامية .
١٠ - الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة .
١١ - الإسلام في مواجهة الاستئصال .
١٢ - تحرير الإسلام .
١٣ - دفاعا عن الإسلام والحرية .
١٤ - التنوير .. رؤية إسلامية .

١٥ - معركة الحجاب والصراع الحضاري .
١٦ - العصا الغليظة .
١٧ - واسلمي يا مصر.
١٨ - ثقافة التبعية : المنهج . الخصائص . التطبيقات .
١٩- انتصار الدم على السيف.
٢٠- التمرد الطائفي في مصر : أبعاده وتجلياته .
٢١ – العمامة والثقافة : دفاع الإسلام وهجوم العلمانية .
٢٢ – عباد الرحمن وعباد السلطان .
٢٣– الأقلية السعيدة : يوميات التمرد والتسامح !

رابعا : كتب أدبية ونقدية :

١- الغروب المستحيل (سيرة كاتب) .
٢- رائحة الحبيب (مجموعة قصصية عن حرب رمضان) .
٣- الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .
٤- موسم البحث عن هوية : دراسات في الرواية والقصة) .
٥- حوار مع الرواية في مصر وسورية .
٦- لويس عوض الأسطورة والحقيقة .
٧- الوعي والغيبوبة : دراسات في الرواية المعاصرة .
٨- إنسانية الأدب الإسلامي .
٩- حصيرة الريف الواسعة .
١٠- أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة .
١١– الحكاية كلها معاصرة(دراسات في الرواية) .

خامسا : إعلام :

١- الصحافة المهاجرة : رؤية إسلامية .

سادساً: كتب للأطفال :

١- واحد من سبعة .

سابعاً : كتب محققة :

١- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية .
٢- أحسن ما كتبت .

ثامنا – كتب معدة للنشر:

- الحداثة العربية : المصطلح والمفهوم (طبعة ثانية) .
- الإبادة والمقاومة : الشعب الفلسطيني لا يموت .
– خبز السلطة .. خبز الحرية (الحقل الثقافي في مصر المعاصرة) .
- الحلم والدهشة (قراءة أدبية) .
– اللحم الإسلامي المستباح .
- حضرت التبعية .. وغابت الهوية .
- صالون الشعر والأدب (أعلام وقضايا) .
- نداء الفطرة .
- اخلع إسلامك .. تعش آمنا ؟!
- ثقافة تزغيط البط !
- محرقة غزة .. الشعب الفلسطيني يقاوم !
- القيم الإسلامية في رسائل النور

- كهنة آمون !
- المدافعة والمداولة – قراءة في السنن والتحولات .

ثامنا : كتب إعادة طبع :

١ – التغريب وتجلياته (لويس عوض نموذجا) .
٢ – حوار مع الرواية في مصر وسورية .
٣ – حصيرة الريف الواسعة .
٤ - إنسانية الأدب الإسلامي .
٥ – الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان) .
٦- أهل الفن وتجارة الغرائز .
٧ – معركة الحجاب والصراع الحضاري .
٨- التنوير رؤية إسلامية .

الفهرس